



LARBI TEBESSI –TEBESSAUNIVERSITY

UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

Department of Philosophy

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة: علوم اجتماعية

التخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

العنوان:

المنهج البنيوي عند "ميشال فوكو"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د"

دفعة: 2021

إشراف الأستاذ(ة):
د. فيصل زيات

إعداد الطالب (ة):
- صلاح بن جدة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
مولدي عاشور	أستاذ محاضر "أ"	رئيسا
فيصل زيات	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا ومقررا
عزالدين منصر	أستاذ محاضر "ب"	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020



شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين

أما بعد فإنني أشكر الله وافر الشكر أن وفقني وأعانني على إتمام هذه الرسالة ثم أوجه آيات
الشكر والعرفان بالجميل إلى الأستاذ الدكتور زيات فيصل المشرف على الرسالة الذي منحني الكثير من
وقته وكان لرحابة صدره وسمو خلقه وأسلوبه المميز في متابعة الرسالة أكبر الأثر في المساعدة على
إتمام هذا العمل.

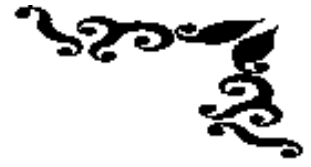
وأسأل الله العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء وأن يكتب صنيعة في ميزان حسناته.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل معلم أفادني بعلمه من أولى المراحل الدراسية حتى
هذه اللحظة.

كما أشكر كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أدعوا الله عز وجل أن يرزقنا الرشاد والعفاف والغنى ويجعلنا هداة
مهتدين.

الصفحة	العنوان
شكر و عرفان	
أ-ج	مقدمة
الفصل الأول: مقاربات مفاهيمية للبنىوية (النشأة والمفهوم)	
03	المبحث الأول: في مفهوم البنوية.....
06	المبحث الثاني: دوافع نشأة البنوية.....
08	المبحث الثالث: في مفهوم المنهج البنيوي.....
10	المبحث الرابع: في مفهوم أنواع البنوية.....
الفصل الثاني: ميشال فوكو وأسس المنهج البنيوي	
18	المبحث الأول: في خطوات المنهج البنيوي.....
20	المبحث الثاني: مبادئ المنهج البنيوي.....
24	المبحث الثالث: في قواعد المنهج البنيوي.....
28	المبحث الرابع: خصائص المنهج البنيوي.....
الفصل الثالث: تطبيقات المنهج البنيوي عند فوكو	
36	المبحث الأول: تطبيق المنهج على الجنون.....
42	المبحث الثاني: تطبيق المنهج على المعرفة.....
47	المبحث الثالث: تطبيق المنهج على السلطة.....
52	المبحث الرابع: تطبيقات أخرى (نظرية القهر والاضطهاد).....
55	خاتمة.....
58	قائمة المصادر والمراجع.....
فهرس المحتويات	



المقدمة العامة



عاش المجتمع الغربي قبل ظهور المنهج البنيوي في القرن العشرين تحت سيطرة الوجودية والماركسية، وبالرغم من أن جذور الوجودية تمتد إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية إلا أنها لاقت رواجها الأكبر بعد الحرب، وذلك بتركيزها على الإنسان وبالضبط على المسؤولية والالتزام والحرية... غير أن الغرب أدرك أن هذا التطور المادي لم يجعل الإنسان أكثر سعادة بالإضافة أن سيطرة الوجودية والماركسية على الساحة الفكرية أديا إلى نوع من الرتابة والسطحية في المناقشات.

وهكذا شهدت الثقافة الغربية ميلاد مذهب فلسفي جديد، وانصب اهتمام المهتمين بالفلسفة على المنهج المناسب الذي يجب اعتماده في بناء أي اتجاه أو نسق فلسفي، وبذلك إلى محاولة تطهير كل التصورات من المفاهيم المغلوطة ومن المناهج الغير منطقية، التي تشوه الفكر وتبعده عن مساره الصحيح وتطيح من قيمته وتجعل دوره سلبي يساهم في التخلف بدل من قيامه بدور إيجابي، ويحسن من الحياة الإنسانية، ويعتبر "ميشال فوكو" من أبرز الفلاسفة الذين سعوا إلى تنوير الفكر الإنساني عن طريق حرصه على وضع منهج تصنف حسبه الوقائع المعرفية.

لقد اخترت عنوان البحث على هذا المنطق، "المنهج البنيوي في فلسفة ميشال فوكو" هذا الموضوع أثار جدلا مستمرا في الأوساط الفكرية لما له من أهمية، فحاولت أن أضع هذا الموضوع أمام محك العقل والمنطق معا في آن واحد.

بالإضافة إلى أن هذه المشكلة وظفت مفاهيم جديدة فهي قد صادفت إنسانا جديدا وواقعا معرفيا جديدا، وترجع أسباب اختيار هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وتتمثل الأسباب الذاتية باهتمامي بالفلسفة الغربية المعاصرة بصفة عامة، وبالبنوية كتيار فلسفي بصفة خاصة، ومن خلال هذه الدراسات حاولت تهذيب مختلف الرؤى المختلفة التي دارت حول هذا الموضوع، أما بالنسبة للأسباب الموضوعية فتكمن في قلة الدراسات العربية في هذا الميدان، وكذلك في أهمية "ميشال فوكو" وتأثير فلسفته في تاريخ الفكر الغربي، إضافة إلى الأهمية التي حضي بها الفكر الفوكوي في الإطار العام للفلسفة والطريقة التي عالج بها رؤيته للإنسان وكل أبعاده.

يهدف هذا البحث إلى التوضيح للكيفية التي نشأ بها هذا الاتجاه الفلسفي، ومحاولة الكشف عن المنطلقات والأدوات التي يعتمد عليها كمنهج، وكذلك إلى تنقية الشوائب العالقة بالفلسفة الغربية المعاصرة، وبالتالي حسب النظرة الفوكوية تسوقنا إلى التحلي بالذهنية البحتة بعيدا عن كل الإيديولوجيات والمذاهب التي تشوه المعرفة وتجعلها فارغة المحتوى ولا علاقة لها بالموضوعية.

وكون هذا البحث هو موضوع جديد وغير معهود فإن الدراسات السابقة فيه تكاد تنعدم، إذ يوجد دراسة للمفكر والأستاذ الجامعي عمر مهيب حمل عنوان البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، وقد توصل في دراسته إلى عدة نتائج من بينها:

- فهم أهمية فوكو في رفضه للاتكال والاعتماد على كل ما هو بسيط وجاهز وواضح ومألوف.
- إنه دعوى جديدة تخترق جميع أغشية الزيف واللامبالاة والقمع والإرهاب.
- محاولة الوصول إلى حقيقة الفكر وملامسة حدوده القصوى.
- أن فوكو قد خرق القوانين المعرفية الغربية وحطم أسس العقلانية الكلاسيكية.

ولكن نلاحظ وجود نقص في النتائج المتوصل إليها من طرف الباحث، فهو لم يعطي نتائج حول إمكانية تطبيق المنهج البنيوي على معايير أخرى، وهذا ما سأسعى إليه من خلال بحثي هذا، وهي توسيع مجال البحث والتركيز على مختلف جوانب الموضوع لتغطية أي نقص موجود وتحليل كل فكرة للوصول إلى النتائج المرغوبة.

ولقد واجهتني في رحلتي البحثية جملة من المصاعب أهمها صعوبة الحصول على المراجع، ولكن هذا العائق لم يكن حاجزا يمنعني من البحث والتنقيب عن أفكار "ميشال فوكو".

إن البحث في موضوع البنيوية في فلسفة ميشال فوكو يحيلنا إلى طرح الإشكالية الرئيسية المتمثلة في:

ما هو الثوب الفلسفي الذي اكتسحته البنيوية في فلسفة ميشال فوكو؟ أو بعبارة أوضح ما هي الثورة التي أحدثت أعمق أثر في صميم المعرفة المعاصرة في فلسفة ميشال فوكو؟

وتمت أجزئه هذه الإشكالية إلى مشكلات فرعية:

- متى كانت نشأة المنهج البنيوي؟
- ماهي الأسس والروافد التاريخية التي قام عليها؟
- ماهي الدراسات التي قام بها "ميشال فوكو"؟
- ما أهم المبادئ المبادئ التي أسس عليها منهجه؟

وفي إطار بحث ودراسة هذه الإشكالية، فإنني استعملت المنهج التاريخي في البحث وكذا المنهج التحليلي في تناول أفكار هذا البحث.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة ارتأيت أن أضع لبحثي هذا تصميمًا يحيط بالإشكالية من جميع جوانبها، حيث قسمت البحث إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

عرفت في المقدمة بالموضوع العام والإطار العام الذي تدور حوله الإشكالية، ثم قمت بإدراج الفصول الرئيسية في المذكرة وكانت كالتالي:

الفصل الأول المعنون بمقاربات مفاهيمية للنبوية، يحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث، المبحث الأول تطرقت فيه إلى مفهوم البنية، والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى دوافع نشأة النبوية، والمبحث الثالث تطرقت فيه إلى مفهوم المنهج النبوي، والمبحث الرابع تطرقت فيه إلى أنواع النبوية وروادها.

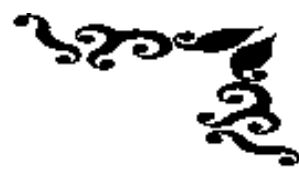
والفصل الثاني المعنون بأسس المنهج النبوي عند ميشال فوكو يحتوي على أربعة مباحث، المبحث الأول ناقشت فيه خطوات المنهج النبوي، والمبحث الثاني تناولت فيه مبادئ المنهج النبوي، والمبحث الثالث تناولت فيه قواعد المنهج النبوي، والمبحث الرابع تحدثت فيه عن خصائص المنهج النبوي.

والفصل الثالث المعنون بتطبيقات المنهج النبوي عند "ميشال فوكو" يحتوي على أربعة مباحث، المبحث الأول تحدثت فيه عن تطبيق المنهج على المعرفة، والمبحث الثاني تناولت تطبيق المنهج على السلطة، والمبحث الثالث تطبيق المنهج على مشكلة الجنون، والمبحث الأخير تناولت بعض التطبيقات الأخرى للمنهج النبوي.

الخاتمة فقد تضمنت مجموعة من الاستنتاجات ومحاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة.

وقد استندت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع منها ما يتعلق بمؤلفات فوكو الرئيسية التي تمس الموضوع مباشرة وهي مترجمة إلى اللغة العربية نكر منها: "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" و "الكلمات والأشياء".

ومجموعة من المراجع منها: "عصر النبوية"، "قضية النبوية"، مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو" و "النبوية بين العلم والفلسفة"، وغيرها من المراجع التي سنذكرها في القائمة البيبليوغرافية.



الفصل الأول



تمهيد:

يهتم هذا الفصل بدراسة حول مشكلة البنيوية في أبعادها المختلفة (البعد التكويني والبعد المنهجي والبعد الفلسفي) وقد يعالج الموضوع من منطلق جملة من المباحث التي كانت قضية البنيوية فيها بمثابة عماد الدوران وكان حافزنا الخفي هو التساؤل في مل حين عن وجه الهوية المعرفية في الفكر البنيوي من خلال العلاقات القائمة بينه وبين حقول المعرفة.

بعد التمحيص والبحث المتواصل تم ضبط جملة من التداخلات كان الغرض منها فك أسرار القضية الأم، فتم تقسيم هذا الفصل إلى مجموعة من المباحث:

المبحث الأول: في مفهوم البنية.

المبحث الثاني: دوافع نشأة البنية.

المبحث الثالث: في مفهوم المنهج البنيوي.

المبحث الرابع: في مفهوم أنواع البنيوية.

المبحث الأول: في مفهوم البنية.

إن التساؤل حول قضية البنىوية يبدأ بمعرفة البنية أولاً أصح من التطرق على فهم البنىوية مباشرة، فكان الأفضل لنا أن نتساءل: ماهي البنية؟ بدلا من ماهي البنىوية؟

تعريف البنية Structure:

إن المعنى الاشتقاقي لهذه الكلمة في لغتنا العربية يبدو واضحا لأنها ترد إلى الفعل الثلاثي "بنى، يبني، بناء، بناية وبنية".

أما المعنى الاصطلاحي:

1- هي كل المؤلف من ظواهر متضامنة، بحيث يستند كل منها إلى الآخر، ولا يمكن أن يكون على ما هو عليه إلا في علاقته مع الآخرين.^{1}

2- وتطلق البنية في علم التشريح على تركيب أجزاء البدن، لا على وظائف هذه الأجزاء، وتطلق في علم النفس على العناصر التي تتألف منها الحياة العقلية من جهة ماهي عناصر ساكنة.^{2}

وحيث تكون للشيء بنية فإن معنى هذا أنه ليس بشيء غير منتظم أو عديم الشكل، بل هو موضوع منتظم، له صورته الخاصة ووحدته الذاتية، وقد يكون لكلمة بنية استعمال خاصة في مجالات مختلفة من منطق، لغويات، فيزياء، أنثروبولوجيا وعلم النفس...

كما أن لكل بنية ثلاث خصائص تتسم بها وهي: الكلية، التحولات، التنظيم الذاتي، والمقصود بالسمة الأولوالكلية هو أن البنية لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل، بل هي تتكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق.^{3}

معناه أن البنية باعتبارها نسق كلي له مجموعة أجزاء مرتبطة بين بعضها البعض وهذه الارتباطات ليست ارتباطا تراكمية باعتبارها عناصر المجموعة، فليس المهم في البنية هو العنصر أو الكل بل المهم هو العلاقات القائمة بين العناصر، معناه عمليات التأليف أو التكوين.

^{1} مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007م، ص 146.

^{2} الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص ص 217-218.

^{3} زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، مصر، (دط)، دس، ص 31.

أما السمة الثانية التحولات ويقصد بها أن المجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتية تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل النسق أو المنظومة، معناه أن البنوية لا يمكن ان تظل في حالة سكون مطلق بل هي تقبل التغيرات ما يتفق مع الحاجات المحددة من قبل علاقات النسق.

يقول جون بياجى: "أن العلم الأكبر للكثير من البنيويين هو تثبيت البنيات فوق دعائم لا زمنية شبيهة بدعائم الأنظمة المنطقية الرياضية، ولكن من المؤكد أن ثمة علاقة متينة بين مفهوم البنية ومفهوم التغير، أو بين فاعلية البنيات وتكونها ونشئها."^{1}

أما السمة الثالثة التنظيم الذاتي فهو أن في وسع البنيات تنظيم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها ويكفل لها المحافظة على بقائها، معنى هذا أن لها قوانين خاصة تجعل منها مجموعة منتظمة مترابطة.

نتنقل إلى تعريف آخر للبنية عند ليفي شتراوس نجد يقرر أن: "البنية تحمل أولاً وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأنها أن تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولاً في باقي العناصر الأخرى".

فبحسبه البنية نظام آلي له ميكانيزماته الخاصة التي تعمل بطريقة رمزية.^{2}

ويمكن الاهتمام إلى تعريف واحد في تحديد مفهوم البنية الذي قدمه لنا "لا لاند" حين قال: "إن البنية كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه".

وجوهر الكلمة (البنية) يعني الكيفية التي شيد على نحوها هذا البناء أو ذلك... ومن هنا نتحدث عن بنية المجتمع أو بنية الشخصية أو بنية اللغة...إلخ.

تعريف البنوية Structuralisme:

يستعمل هذا المصطلح اليوم في الدراسات اللغوية، فيعني الترابط المحكم القائم بين أجزاء اللغة الواحدة.

هي نزعة من الدراسات اللغوية تهدف إلى بيان أن اللغة نظام مترابط الأجزاء.

^{1} زكرياء إبراهيم، مرجع سابق، ص 32.

^{2} المرجع نفسه، ص 32.

وأحاول إن أتدرج إلى تعريف البنائية عن عالم النفس السويسري جان بياجيه حيث يقول: "إن البنائية هي نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا (في مقابل الخصائص المميزة للعناصر)، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه".

ولكن من المؤكد أن أبسط تعريف للبنائية هو أن يقال: "إنها نظام أو نسق من المعقولة، فليست هي صورة الشيء أو هيكله أو وحدته المادية، أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاءه فحسب، وإنما هي أيضا "القانون" الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته.^{1}

^{1} زكرياء إبراهيم، مرجع سابق، ص ص 32-33.

المبحث الثاني: دوافع نشأة البنىوية.

ظهرت البنىوية في القرن العشرين ويعود الفضل في ظهورها إلى فرديناند دي سويسر من خلال كتابه الشهير محاضرات في اللسانيات العامة Cours de linguistique générale الذي طبع بعد وفاته بثلاث سنوات (1916) بمبادرة من تلاميذه شارل بالي Charles Balles وألبير سيشوهاي Alber Secheyhaye، حيث مثل هذا الكتاب نسخة مبكرة من النموذج البنيوي للغة، الذي انطلق منها المنهج البنيوي.^{1}

كانت هناك عدة ظروف أدت إلى نشأة البنائية وظهرها في أوروبا متخطية بذلك الوجودية محاولتا في احتلال مكانها تدريجيا.

☑ **أولا:** كانت الحرب العالمية الأولى والثانية سببا في دمار أوروبا، فظهرت الوجودية لتبحث في مشكلة الحرب الإنسانية وعلاقتها بالمسؤولية والقلق والتمرد، أما في أواخر القرن العشرين تغيرت ظروف أوروبا وعادت تسعى من جديد للبناء والتعمير، ومن ثمة بدأت الوجودية تتحصر تدريجيا رغم محاولات تجديدها وذلك لفسح المجال لظهور البنائية التي تسائر الظروف الجديدة للمجتمع الأوروبي في البناء والارتقاء والتطور، لهذا كانت البنائية هي مذهب ما بعد سارتر والوجودية.

☑ **ثانيا:** أما الظرف الثاني الذي أدى إلى نشأة البنائية فيتمثل في ثورة المجتمع الأوروبي على كل جمود مذهبي فكري من شأنه أن يعرقل البناء والتقدم، والشعور بالحاجة إلى اتجاهات فكرية جديدة مفتوحة غير مغلقة، مرنة غير جامدة، تساعد على البناء وتسائر التقدم.^{2}

قد لاحظ المفكرون الغربيون المعاصرون أن الوجودية بدأت تتحول إلى مذهب جامد، كما ان الماركسية أصبحت من وجهة نظرهم مذهباً مغلقاً، لذلك احتاج الأمر إلى فكر جديد مفتوح يكون أقرب إلى المنهج منه إلى المذهب، وهو الذي يتمثل في البنائية التي لا يمكن إنكار أنها استفادة كثيرا من الوجودية والماركسية، لكن في تركيب جديد ومنهج مغاير يتفق مع الظروف المعاصرة للمجتمع الأوروبي.

☑ **ثالثا:** وأخيرا كان الظرف الثالث الذي أدى إلى ظهور البنائية هو السعي لتطوير العلوم الإنسانية لتلاحق تقدم العلوم الطبيعية، بخلاف المحاولات التي قام بها هوسرل من خلال "القيمنولوجيا"

^{1}ليونارد جاكسون، بؤس البنىوية، الدب والنظرية البنىوية، ترجمة: تائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط2، 2008م، ص

^{2}سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مديولي، (دب)، (دط)، (دس)، ص ص 137-138.

وكذلك سارتر وغيره من الوجوديين، بالإضافة إلى محاولات الماركسيين وغيرهم، لكن هذه المحاولات لم تحقق الأهداف المرجوة، لن أغلبهم توغل في التجريد واهتم بذاتية الإنسان دون العلاقات الموضوعية التي يرتبط بها هذا الإنسان مع غيره من البشر، ومن هنا ظهرت البنائية في محاولة منها لتحاشي هذه الأخطاء السابقة، بهدف تطوير العلوم الإنسانية عامة ودراسة الإنسان خاصة، كما يتمثل في شتى علاقاته الموضوعية، حيث أصبحت البنائية في جوهرها عبارة عن تحليل للبناء الإنساني وكشف للعلاقات الموضوعية التي تربط شتى أجزاءه وذلك بهدف التحكم فيها والارتقاء بها ليلحق الإنسان بركب التقدم الذي وصلت إليه العلوم الطبيعية.^{1}

يمكن أن نتوصل في هذا الجزء من الدراسة باختصار إلى أن قصة النشأة بالنسبة إلى الفكر البنيوي تبدأ من خصائص اللغة الطبيعية.

وبما أن عرضنا في هذا السياق هو استجلاء مكامن الولادة البنيوية فإننا نقوم بالتأكيد على ارتباط الفكر البنيوي جينيا باللسانيات قد كان ارتباطا بالمعرفة اللغوية من خلال اقترانه بالظاهرة اللغوية ذاتها، فمن غير الصواب الظن بأن علم اللسان الحديث قد أنجب البنيوية بمحض تحول منهجي، وإنما الصواب أن نقول بأن اللسانيات قد أتاحت ظروف الوعي بما كان مستترا في خبايا اللغة الطبيعية.

فاللغة هي الرحم الأول لنشأة المعيار البنيوي، إذ هي عبر هندستها المتجددة وتلازمها الوظيفي مع الخطة التواصلية تمثل صورة الإنباء كأحسن ما يكون التصوير، وهذا الذي نذهب إليه لا ينكر فضل اللسانيات، ولكنه يحاول أن يوازن بالدقة بين فضل العلم على موضوعه، وفضل موضوع العلم على العلم ذاته.^{2}

^{1} سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص ص 138-139

^{2} الدكتور عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، دار أمية، تونس، ط1، 1991م، ص ص 13-14.

المبحث الثالث: في مفهوم المنهج البنوي:

لا شك أن البنوية ليست منهاجا مطبقا بطريقة واحدة فما يقوم به "لوفي شتراوس" يختلف عن "بارت" و "ألتوسير" و "فوك" و "لاكان"، كما أنه ليس هنالك نظرية واحدة ولكن هنالك مواقف مشتركة كالموقف من الذات ومن اللغة ومن التاريخ...، ومن هنا ضرورة العمل على إظهار المبادئ المنهجية للبنىوية على وجه العموم.

يقول لوفي شتراوس: إن البنوية يجب أن تكون منهاجا علميا دقيقا يماثل المناهج المتبعة في العلوم الدقيقة، يدرس العلاقات القائمة بين عناصر أجزاء كل بنية، وذلك بتحليل هذه الأخيرة والكشف عن ارتباطاتها الموضوعية، ثم إعادة تركيبها في منظومة كلية جديدة أسمى من بنائها الأولى، تتيح لنا تبين بنيتها الخفية.

فالمنهج البنوي في اعتماده على المناهج الطبيعية، إنما ركز أساسا على نظرية المجموعات، تلك النظرية التي تسمح بدراسة العلاقات بين أجزاء وعناصر المجموعة وتحليلها ثم إعادة تركيبها من أجل الكشف عن البنية الخفية للموضوع، وكذلك باللسانيات يقول لوفي شتراوس: "إذا كان المنهج يسمي إلى طريق التحولات التي تفسر جزءا من قوانين المجموعات الرياضية، إلا أن نموذجها المباشر هم علم اللغة الذي يختص عن غيره من العلوم الإنسانية بأنه العلم الوحيد الذي يمكن وضعه على قدم المساواة مع العلوم الطبيعية الدقيقة وذلك:^{1}

- 1- لأنه يدرس موضوعا عاما، ألا يوجد مجتمع بشري دون لغة.
- 2- لأن منهجه متشابه، أي أنه يمكن اتباع المنهج نفسه في دراسة أي لغة قديمة كانت حديثة، بدائية أو متحضر.
- 3- لأن هذا المنهج يعتمد على بعض المبادئ الأساسية التي لا يختلف عليها الباحثون والمتخصصون.

^{1}د. الزواوي بوغرة، البنىوية منهج أم محتوى، مجلة عالم الفكر، عدد4، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 30 أبريل 2002، ص ص 47-48.

هذه هي الأسباب التي جعلت من اللسانيات نموذج للمنهج البنيوي، والمنهج البنيوي في استناده إلى نموذج اللسانيات يرجع إلى كون اللسانيات تتماثل والعلوم الطبيعية الدقيقة، والاعتماد على النموذج الألسني مجرد توسط بينها وبين العلوم الإنسانية.^{1}

يقوم المنهج البنيوي باستتطاق الظاهرة التي تكون موضوعا للبحث، متقدم في ثوب جذاب يجمع بين البساطة الظاهرة والدقة المستترة، وكل ذلك بواسطة العملية المزدوجة التي تتراوح بين التفكيك والتركيب، تفكيك الأجزاء المكونة لمادة البحث كما لو انها مادة خام ثم إعادة تركيبها بشكل يختلف عن الصورة التي جاءت عليها من قبل، مباشرتها بالتحليل على ان إعادة التركيب ليست واحدة بالضرورة وإنما يكمن أن تتعدد وتتنوع فتفضي إلى هندسيات معمارية جديدة للواقع المدروس أو للظاهرة المستجلاة.^{2}

في كل مرة يعمل المنهج البنيوي على إثبات ان الأجزاء إذا تركبت وفقا للثنائيات محددة أثمرت نظاما نسقيا هو إحدى الصور المنعكسة على مرآة البنية.

إن الريادة المنهجية للبنىوية تتمثل في تحقيقها للقدرة على إحكام تصنيف الأشياء والاستدلال على تأليف الكليات انطلاقا من الأجزاء، فبدى وكأنه المنهج المحقق للموضوعية في الدرس كأبداع ما تكون الموضوعية وبديهي أن المنهج أيا كان مسلكه إذا تحول إلى أداة طيعة يرينا ما نراه بدونه يأخذنا بجاذبيته فننتسب إليه مقتنعين أو مستسلمين.^{3}

^{1}المرجع نفسه، ص 48.

^{2}د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 23.

^{3}المرجع نفسه، ص 23.

المبحث الرابع: في مفهوم أنواع البنىوية.

إذا تأملنا البنىوية بعمق دقيق باعتبارها مقارنة ومنهجا وتصورا فإننا سنجد بنىويات عدة وليس بنىوية واحدة، فهناك البنىوية اللسانية مع دوسوسير، والبنىوية السردية مع رولان بارت، والبنىوية النفسية مع جاك لاكان، والبنىوية الأنثروبولوجية مع كلود ليفي شتراوس، والبنىوية الفلسفية مع جان بياجيه وميشال فوكو وجاك دريدا ولوي ألتوسير، والبنىوية التكوينية مع غولدمان، والبنىوية الماركسية.

أولا: البنية في ميدان اللسانيات:

1- البنىوية اللغوية:

إن الأب الحقيقي للحركة البنىوية الحديثة هو العالم اللغوي فردينان دوسوسير الذي خلف العديد من الكتابات المدهشة في أصالتها في عالم اللغويات، فقد اختص باللغة الطبيعية أو الإنسانية.

لقد حلل سوسير الرمز إلى مكوناته الصوت أو المكون الصوتي وعاه الدال Singnifier، هذا الرمز اللغوي نستخدمه عندما نود ان نشير إلى العالم من حولنا، يعني أن الدال يشكل الجانب المادي من اللغة.

أما المدلول فهو الجانب الذهني من اللغة، وهو جانب كثيرا ما نعتبره غير مادي، والدوائر والمدلولات لا يمكن فصلها بهذه الطريقة إلا من قبل المنظر اللغوي، اما في واقع الحال فهما لا ينفصلان، إذ لا يمكن أن نحصل على دال دون مدلول، وكذلك لا يمكن القول أن هناك مفهوم من المفاهيم لم يجد ما يعبر عنه، أي ما لم يتخذ شكلا ماديا إما داخليا على شكل فكرة أو خارجيا على شكل لغة، أي لا يمكن ان نحصل على مدلول دون دال.^{1}

كذلك أدخل سوسير زوجين آخرين من المصطلحات المتقابلة لها أهمية كبرى في فهم أسلوب التفكير، فقد ميز أولا في دراسته للغة بين اللغة Langue والكلام Parle، فاللغة هي النظام النظري للغة من اللغات أو بنيتها هي مجموعة القواعد التي ينبغي على متكلمي تلك اللغة أن يلتزموا بها إذ أرادوا الاتصال فيما بينهم، أما الكلام فهو الاستخدام اليومي لذلك النظام من قبل المتكلمين الأفراد.^{2}

^{1} جون ستروك، البنىوية وما بعدها، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، (دط)، 1996م، ص ص 10-11.

^{2} المرجع نفسه، ص ص 12-13.

ميز دوسوسير بين اللغة والكلام وعد اللغة نظاما اجتماعيا مستقلا عن الفرد، والكلام هو التحقيق العيني الفردي للغة التي هي نسق عضوي منظم من العلاقات، العلامة هي الكل المتألف من الدال والمدلول، ينبغي ان تتم دراسة اللغة بمنهج سكوني لا تطوي، فما دامت اللغة بنية أو نسقا رمزيا فلا بد من التسليم بأنها لا تتطوي على أي بعد تاريخي، وحين تحدث دوسوسير عن الطابع الاعتباطي للعلامة اللفظية فقد كان يقصد أن للمعنى بعدا اجتماعيا اصطلاحيا وهو يقول في ذلك بصريح العبارة: "إن هناك من الناس من يظن أن اللغة في صميم مبدئها الأساسي هي عبارة عن سجل من الأسماء، أعني قائمة طويلة بالألفاظ المقابلة لما في العالم من الأشياء."^{1}

ويكمل قوله: "...ولا شك أن مثل هذا التصور في أكثر أشكاله سذاجة لا بد من أن يحيل العلامة اللفظية إلى نسخة طبق الأصل عن الشيء الذي تشير إليه، ولكن الحقيقة أن الصلة التي تربط الدال بالمدلول هي مجرد صلة اعتباطية، وآية ذلك أن مفهوم كلمة "أخت" لا يرتبط بأية علاقة باطنية مع سلسلة الأصوات (أ-خ-ت) التي هي بمثابة الدال، بدليل أن في الإمكان تمثيل هذا المفهوم بأية مجموعة أخرى من الأصوات، كما هو واضح من اختلاف اللغات، إذ نقول مثلا للدلالة على "الثور" في فرنسا Bœuf بينما نقول عنه في إنجلترا Ox."^{2}

يقصد دي سوسير من فكرة الطابع الاعتباطي للعلامة اللفظية أن للمعنى بعدا اجتماعيا واصطلاحيا معناه يختلف حسب اختلاف اللغة واللهجة داخل الثقافات الاجتماعية.

أما بلو مفيلد فقد أراد تطوير اللغويات البنوية بإقامة لسانيات وصفية، وقد حققت البنوية تقدما هاما بظهور الفونولوجيا التي رمت إلى الكشف عن نسق العلاقات التي تنطوي على وظيفة داخل الشطيع اللغوي لأي دال رغم الاختلاف في فهم البنية، فإن هذه تمثل مناخا فكريا أكثر مما تؤلف مذهبها موحدًا متجانسا.^{3}

ليست فكرة النظام أو النسق اللساني سوى مجرد تأكيد لضرورة احتلال المنهج البنوي محل المنهج التاريخي في دراسة الظواهر اللغوية، خصوصا وأن الدراسات التاريخية المقارنة للغات لم تؤد بالفعل إلى الكشف عن طبيعة اللغة بوصفها صورة لا جوهرًا.

^{1} زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 43-44.

^{2} المرجع نفسه، ص ص 49-51.

^{3} جون ستروك، المرجع السابق، ص ص 11-12.

ثانيا: البنية في ميدان الأنثروبولوجيا:

1- البنية الأنثروبولوجية:

البنوية عند كلود ليفي شتراوس "أبستمولوجيا" أو نظريات نقدية لكنها ليست نظرية، البنية ليست واقعا تجريبييا بل واقعا كليا يقع وراء المعطيات المباشرة، هنا يقترب شتراوس من أفلاطون وكانط.^{1}

البنية ذات طبيعة لا شعورية رمزية تمكن من رد الكثرة من المظاهر إلى أنسقة تكشف عن معنى أضفاه الإنسان عليها عبر حياته، ومقارنة هذه الأنسقة أو البنى الفوقية ستكشف عن نظام صارم يحكمها نظام بقي مجهولا لدينا حتى الآن.

استندت نظرية شتراوس إلى التمييز بين المظهر والبنية أو بين الصورة والمضمون، وتكمن أصالة هذا التمييز في الطريقة التي تصور بها العلاقة القائمة بين الصورة والمضمون، ومن هنا تصير البنية نظرية في المعرفة.^{2}

بهذا المنهج مضى شتراوس يحطم التقابلات المصطنعة بين السحر والعلم، فكل من هذين ليس سوى فعالية إنسانية تهدف إلى التصدي للعالم والعمل على تكوين بنيات، وبينما يستخدم التفكير السحري "بواقى الأحداث" يصنع التفكير العلمي أحداثه الخاصة.

إن التزام ليفي شتراوس بالبنوية صريح مطلق، وهو يعتقد بأن المنهج الذي اتبعه هو الذي مكنه من جعل المعطيات التجريبية حول مؤسسات القرابة والطوطمية والأسطورية أقرب من الفهم من أي وقت مضى، لا بل إنه يمضي إلى ما وراء تفسير هذه المعطيات بحيث ينتهي إلى تحديد ماهية ما يعتبره الصفات التي يختص بها الذهن البشري عامة، ويتميز ليفي شتراوس هن أصحابه الذين ساهموا في إبداء أفكارهم حول مشكلة البنية الأنثروبولوجية باتساق منهجوعقلانيته وبالمباشرة في نقل مكتشفاته وأفكاره إلى قرائه.^{3}

رفض شتراوس أولوية التاريخ أي رفض أن تكون الصدارة للبعد الزماني على البعد المكاني، إن تصور الأحداث متعاقبة متطورة يوقع الفيلسوف في خطأ تخيل اتصال مزعوم يسميه بالتقدم علما بأن هذا

^{1} زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 73-74.

^{2} المرجع نفسه، ص ص 79-81.

^{3} جون ستروك، المرجع السابق، ص ص 07-08.

التتابع أو التقدم ناجم عن وصفه هو للأحداث وتفسيره لها، لا يرفض شتراوس فكرة التقدم ذاتها بقدر ما يرفض مقوما معينا للتقدم الذي مفهوما عنده طفرات منفصلة وتراكمات لضربات من الحظ السعيد في عملية يناصب الممكّنات، لكن التقدم لا يتضمن في رأي شتراوس اتصالا في مجرى الأحداث، "إن مفهوم الإنسان لا بد أن يموت في عالم النبوية، وكما بدأ العالم بدون إنسان فسوف ينتهي بدونه أيضا، لم تعمل الإنسانية إلا على بث الاضطرابات في النظام الأصلي، إن موت الإنسانية يحمل طياته إيمانا خفيا بإنسانية جديدة تقدم العالم على الحياة".^{1}

ثالثا: البنية في ميدان الأبيستمولوجيا وتاريخ الثقافة:

1- البنية الثقافية:

انطلقت بنوية فوكوه الثقافية من معادلة تقول إن: البنية = البنية = اللاشعور - الرمز - النموذج - اللغة.

تبين دراسة تاريخ الجنون كيف اعتبرته الثقافة الأوروبية انحرافا فأقصت المريض من مجتمعها ورفضت بالتالي أن نتعرف على ذاتها في تلك الصورة المرضية.

ليس الجنون في رأي فوكوه كيانا مستقلا بل علاقة موجودة في صميم الواقع الاجتماعي وليس العقل والجنون واقعتين مستقلتين، بل هما منطقتان حددهما المجتمع نفسه، وبهذا فإن تسجيل تاريخ الجنون في الثقافة الغربية يعني وضع تاريخ بنيوي للأفكار والأنظمة والإجراءات القانونية والبوليسية والمفاهيم العلمية المتصلة بهذه الظاهرة.^{2}

يسعى فوكوه كما يفعل علم الآثار إلى دراسة لغة وارثيف كل عصر ليكشف عن بنية الابستمولوجية الكامنة وراء مفاهيمه ومعارفه، إن تطور الطب قد اقترن بتحول لغوي من ماذا عندك؟ إلى أين تشعر بالألم.

ليست العلوم الإنسانية علوما بل ضربا من المعرفة تولد بفضل إنشاء الثقافة الأوروبية في القرن التاسع عشرة لموجود أطلقت عليه سام الإنسان، إن الإنسان الذي توزعت معرفته علوم الأحياء والفيزياء

^{1} زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 93-95.

^{2} عبد الوهاب جعفر، النبوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكوه، دار المعرفة، الإسكندرية، (دط)، 1989م، ص ص 157-158، 180.

وعلم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا قد نقد هويته، بحيث صار في وسعنا اليوم أن نعلن موت الإنسان^{1}، الذي هو تجريدات في حقول العلم والمعرفة، أما الإنسان العيش قد ولى إلى غير رجعة.^{2}

عاد فوكوه إلى دراسة إلى دراسة مجال المعرفة كما يكشف عنه المقال أو الحديث وصولاً إلى مجموعة القواعد أو البنية التي يخضع لها دون إضفاء أي ضرب من الاستمرارية عليه.

رابعاً: البنية في ميدان التحليل النفسي:

1- البنيوية السيكلوجية:

تحقق على يد لاكان إلتقاء المنهج البنيوي بمنهج التحليل النفسي، وقد اتهم لاكان الفرويديين الجدد بأنهم غرباء على فرويد وطالب بالعودة من جديد إلى وضاع التحليل النفسي، بل إلى الكشف عن أهمية دراسة اللاشعور الفرويد باعتبارها لغة ذات بنية خاصة.^{3}

تكشف هذه المحاولة عما بين لغة اللاشعور والحلم من علاقات تكون بنيتها الخاصة اللاشعور يتكلم في كل مكان، في الأحلام وفي الأمراض النفسية، حيث يمثل عرض المرض دالا لا مدلول، وفي الجنون أيضا الذي هو الكلام لا ينجح صاحبه في إيصاله بوضوح أنه قول لا نطبق فيه الذات بقدر ما هو قول ينطق باسمها.

لا تصنع الذات نفسها لأنها نتاج النظام الرمزي أو اللغة، والوظيفة الرمزية هي العلة الكافية التي تحدد كل وجودنا، فكأنما هي البنية القصوى التي تتحكم في كل أنشطتها.

وعليه فإن فهم هذه البنية هو المدخل الحقيقي إلى فهم الذات الإنسانية في شعورها ولا شعورها، إن الإنسان يتكلم لأن الرمز قد خلق منه إنسانا فالنظام الرمزي ينشئ الذات لكيلا يلبث أن يفتادها إلى شباكه، إن سر قوة الرمز تكمن في أن اللاشعور بنية تشبه بنية اللغة فبالكلام يصير اللاشعور شعورا، ويفهم عبر عملية حل الشيفرة الخاصة ببنيته، إن من اهم خصائص لغة اللاشعور الاستعارة والكناية.^{4}

^{1}المرجع نفسه، ص ص 259، 388.

^{2}نفسه، ص ص 380-381.

^{3}زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 155-157.

^{4}المرجع نفسه، ص ص 156-158.

الاستعارة تحل لفضا محل آخر وتشير الكناية إلى جزء من الموضوع على أنه يمثل الكل، وتقابل الاستعارة الكبت، وتقابل الكناية التحويل، والانطلاق من مثل هذا التحليل اللغوي هو وحده الذي يظهرنا على منطق اللاشعور.

لا تمثل الرمزية اللغوية اللاشعور ظاهرة لغوية بالمعنى الدقيق للكلمة وإنما هي ظاهرة عامة مشتركة بين العديد من الثقافات، فعملية التحويل والتكثيف تعملان على مستوى الصورة الحية لا مستوى النطق الصوتي أو التعبير الدلالي، ورمزية اللاشعور ليست لغوية بل كلامية، رمزية لا تعترف بمقولات التناقض والتعارض.^{1}

إن بنوية لاكان نزعة لا إنسانية تضحى بالذات لحساب البنية فتقضي على الإنسان الذي صار نتائج البنية اللاشعورية.

إن هذه البنية في أحسن الأحوال فرضية تساعد على الاستمرار في البحث، لكنها ليست عقيدة أو نظرية نهائية في مجال التحليل النفسي اللاشعور.

خامسا: البنية في ميدان الماركسية:

1- البنية الماركسية:

وضع ألتوسير من خلال قراءة ماركس دعائم بنوية ماركسية ذات طابع علمي لا إيديولوجي، لقد منح ألتوسير الماركسية النظرية الاستمولوجية التي كانت تقتفر إليها في نظره.^{2}

☒ **الخطوة الأولى:** تحليل الجدول الماركسي من قرائن الجدول الهيجلي.

☒ **الخطوة الثانية:** اكتشاف الدور الاستمولوجي الذي لعبته فكرة البنية في تفكير ماركس العلمي من خلال المرحلة الأخير في التطور العقلي.

لم تزل الماركسية ناقصة حتى اليوم وينبغي أن يتجه جهد الماركسيين نحو إكمالها لا نحو تفصيل ما أرسيت دعائمه منها، ينبغي أن يقرأ ماركس على نحو ما كان فرويد يقرأ الحقيقة وسط خليط أحلام مرضاه وأعراض جنونهم، إن هذه القراءة تحلل الشفرة وتتجاوز إلى مدلولها، إن ماركس لم يكن إشكاليته

^{1} زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 160-182.

^{2} المرجع نفسه، ص ص 191-192.

الخاصة إلا من خلال كشفه لأعيب اللفظية التي انطوت عليها إشكاليات من اخذ عنهم واستشهد بهم دون أن يفتنوا هم أنفسهم إلى هذه الإشكاليات أو يكونوا على وعي بها.^{1}

أهم ما في الماركسية مقالها الإيديولوجي ومقالها العلمي، وتتركز قيمة الماركسية فيما يقول ألتوسير في أنها استطاعت أن تنتقل الفلسفة بأسرها من الوضع الإيديولوجي إلى الوضع العلمي عبر المادة الجدلية.^{2}

إن الفكرة الرئيسية في المادة الجدلية هي فكرة المجالات على كافة مستوياتها، إن لكل مستوى من الممارسة كما يرى ماركس بنية مستقلة نسبياً، ويتحدد الكل الاجتماعي بالبنية المعقدة المكونة من الترابط المنتظم للمستويات البنوية كلها وليست الممارسة الاقتصادية وحدها هي المحدد لهذا الكل.^{3}

تلعب البنية في الاقتصاد الدور الرئيسي في توزيع الأدوار على الأفراد، وليس المهم في الاقتصاد الأفراد أو الموضوعات الحقيقية بل المواقع "الأماكن" القائمة في مجال طوبولوجي بنائي يتم تحديده من جانب العلاقات الإنتاجية وهي علاقات لبنية معينة.

يتحدد النظام الاجتماعي عند ماركس من خلال عناصر وعلاقات اقتصادية لا تظهر على نحو ما يقضي به الديالكتيك الهيغلي الزائف.

لقد جعل ألتوسير الواقع في نظر الماركسية بنويوا وليس ديالكتيكيا.^{4}

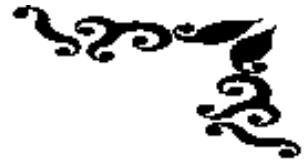
إن التفرقة بين الحلم والإيديولوجيا تعسفية ليس لها ما يبرر في صميم التطور الفكري الماركسي نفسه، ذلك ان معرفة الواقع الاجتماعي والعمل على تغييره يمثلان وحدة لا انفصام لها عند الماركسيين.

^{1} نفسه، ص ص 193-194.

^{2} نفسه، ص 210.

^{3} زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 211-213.

^{4} المرجع نفسه، ص ص 215-217.



الفصل الثاني

الفصل الثاني



المبحث الأول: في خطوات المنهج البنوي

يقوم المنهج البنوي كغيره من المناهج العلمية الأخرى على جملة من الخطوات والقواعد والمبادئ التي تكون نظامه المفاهيمي التي يعتمد عليها في تحليل الموضوعات وسنحاول تحليل هذه الخطوات والمبادئ والقواعد، أول خطوة يقوم بها المنهج البنوي لدراسة موضوعه هي:

أولاً: الملاحظة.

يتميز المنهج البنوي بين خطوتين أساسيتين هام الملاحظة والتجربة، الملاحظة تعني ملاحظة جميع الوقائع ووصفها من دون الحكم على تلك الوقائع بأحكام مسبقة نظرية، وهذا يعني أن الملاحظة تشترط الحيادية والموضوعية وملاحظة الوقائع في إطار علاقاتها، وهذه الخطوة توازيها في الأنثروبولوجيا مرحلة الأنتوغرافيا، أي مرحلة الدراسة الميدانية، وفي هذا المعنى يقول ليفي شتراوس: "إن جميع الوقائع يجب ملاحظتها ووصفها ملاحظة ووصفا دقيقين، بحيث نفوت الفرصة على الأحكام المسبقة...".^{1}

ثانياً: التجربة.

بعد الانتهاء من الملاحظة ينتقل الباحث إلى مرحلة التجربة وهي على شكلين:

- 1- التجريب على الوقائع.
- 2- التجريب على النماذج

يقول ليفي شتراوس: "مما لا شك فيه ان التجربة هي دائماً صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة، غير أن التجربة التي يوحى بها إلينا الاستدلال والخاضعة لهدية ليست هي نفس التجربة الخام المعطاة لنا في البداية"، إذن هناك مستويين للتجربة، مستوى التجربة الخام التي تعقب مباشرة مرحلة الوصف والملاحظة، فهي إذن مرحلة التأكد من المعلومات التي تم جمعها عن طريق الملاحظة ومستوى ثان هو التجربة الخاضعة للاستدلال، وتعني أساساً مرحلة بناء النماذج عليها، وهذا المستوى من التجريب يقصد به: "مجمل الطرق التي تسمح بمعرفة كيفية رد فعل نموذج معين على التغييرات، أو مقارنة نماذج من طراز واحد أو من أنماط مختلفة بعضها ببعض".^{2}

^{1}الزواوي بوغورة، المنهج البنوي، أصوله ومبادئه وتطبيقاته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دط)، ص 116.

^{2}المرجع نفسه، ص 116.

يستلزم التجريب على النماذج شرطين أساسيين، أولهما معرفة كيفية رد فعل النموذج تجاه الوقائع، وإذا علمنا أن النموذج هو أساس إطار نظري لتعريف الوقائع عرفنا أن كيفية رد الفعل هذا تتجسد أساسا في قدرته على أن يكون جامعا ومانعا للوقائع، وهذا طبقا للخصائص التي يجب أن يتمتع بها النموذج، والشرط الثاني الذي يتطلبه التجريب على النماذج هو المقارنة، أي مقارنة النماذج التي تصاغ انطلاقا من الوقائع المراد دراستها، وتعتمد هذه المقارنة أساسا على الوضوح والبساطة والواقعية.^{1}

وهذا ما يؤكد أهمية التجريب في المنهج البنيوي والفهم الجديد للتجربة باعتبارها تجربة قائمة على النماذج، وهذا نظرا للعلاقة العضوية بين البنية والنموذج، كما يقول صيباغ أيضا على مقارنة الأشكال المختلفة للحياة الاجتماعية وتحولاتها، فالتجريب في المجال الاجتماعي يستند إلى عنصر المقارنة، وهو شرط أساسي للقيام بالتجربة.

إذن الملاحظة والتجربة عنصران أساسيان في المنهج البنيوي وهو ما جعل من ليبينسكي تقول: "إن المنهج البنيوي يعاد إنتاج المنهج التجريبي وأصالته تكمن في نقله للمنهج التجريبي من مجال العلوم الطبيعية إلى مجال العلوم الإنسانية"، والواقع أننا لا نرى في هذا اصالة أو جدة، لن معظم المناهج المتبعة في العلوم الإنسانية تحاول إعادة إنتاج شروط المنهج التجريبي، حتى أن هناك من يؤسس للمنهج التجريبي في العلوم الإنسانية، وذلك بسبب فعالية هذا المنهج في العلوم الطبيعية.^{2}

وعليه فالمنهج البنيوي يعيد تقليدا وضعيا مشهورا في فلسفة العلوم تقليدا يقوم على التمييز بين مرحلة الملاحظة ومرحلة التجريب أي إعادة إنتاج النزعة الاختبارية والتجريبية في العلوم الإنسانية.^{3}

^{1} الزواوي بوجورة، المرجع السابق، ص 117.

^{2} المرجع نفسه، ص 117.

^{3} نفسه، ص 117.

المبحث الثاني: مبادئ المنهج البنوي.

يقوم المنهج البنوي مغیره من المناهج العلمية على مجموعة من المبادئ التي يعتمد عليها في تحليل الموضوعات ومن هذه المبادئ.

أولاً: أسبقية الكل على الأجزاء:

إذا كانت البنية تشترط الكلية فإن هذه الخاصية أفرزت خطوة منهجية وهي النظرة الكلية للموضوع، والتي تشترط منطقياً أسبقية الكل على أجزاءه، ولقد اعتمد ميشال فوكو على هذه الخطوة في تحليله من كتابه "الكلمات والأشياء"، من هنا كان يرى فوكو أن النسق يجب أن يخضع لأسبقية الكل على الجزء، فالكلية ماهي إلا نسق من الوحدات، لذلك فإنها تتساوى والنسق، وهذا نظراً إلى ما يوفره النسق من نظرة كلية وأسبقية الكل على الجزء.

يقول فوكو: "إن الأنموذج البنوي ليس نسقاً منطقياً خاصاً للآنية، كما أنه ليس تتابعاً للأحداث يسير في خط مستقيم، بل إن هذا الأنموذج يحاول أن يبين أن هناك إلتقاء بين علاقات متتابعة وأخرى ليست كذلك".^{1}

يظهر مما تقدم أن البنوية باعتبارها نسقاً فهي لا ترفض فكرة تتابع الأحداث بين وحدات الأجزاء باعتبارها كلا موحداً من مجموعة الأجزاء، أي أن هذه الخطوة تؤيد الانفصال وكلها بمعنى واحد عند فوكو.

ثانياً: أسبقية العلاقة على الأجزاء:

يرتبط مفهوم البنية بمفهوم العلاقة داخل نسق معين، فما يهم المنهج البنوي ليس الأحداث والكلمات في عزلتها، ولكن العلاقة التي تقوم بين تلك الأحداث أو الكلمات، ومنه فالعلاقة خطة منهجية في دراسة الظواهر، والبنوية كمنهج هي قبل كل شيء التحليل الواقعي للظواهر بغية اكتشاف العلاقات بين العناصر المكونة لهذه الظواهر.

وهذه الخطة حسب ما جاء في كتابه "الكلمات والأشياء" "العقلنة الإنسانية نسبة إلى العوم الإنسانية إنما تتبع هذه الخارطة الهندسية وتؤكد أولوية شكل العلاقة ذاتها، فالأنثروبولوجي الغربي حين

^{1} عبد الوهاب جعفر، البنوية العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، ص ص 99-100.

يدرس الإنسان الآخر ليس ذلك من أجل أن يكتشفه في اختلافه الحقيقي، وإنما يدرسه ليؤكد فيه كل ما يثبت ويعيد إنتاج مركزيته مقابل إعادة إنتاج هامشية الآخر، ليس عند هذا الآخر ما يمكن أن يشكل مادة أي اكتشاف وهو ليس مبعثراً وبدائياً وغريباً وتخلفا ومرتهناً لطقوسه وعاداته.

إلا لأن ثمة إنسان واحد هو الإنسان (بالحرف الكبير) والآخر هو المختلف اختلافه هذا يخرج من خانة الإنسان ومنطقه واختلافه لا يدخل في جغرافيه اللامفكر، إلا أن المفكر تجاوزه تماماً⁽¹⁾ فارقته منذ أن شرع في تأسيس تاريخه".

يوضح لنا ميشال فوكو في هذه الخطوة (العلاقة) أهمية العلاقة الكائنة بين وحدات الأجزاء داخل النسق، أي العلاقة بين الأحداث القائمة داخل النسق البنيوي، باعتبار هذه العلاقة خطة منهجية لازمة في دراسة الظواهر بهدف اكتشاف العلاقة القائمة بين العناصر والأجزاء والوحدات لهذه الظاهرة.

ويعطينا مثل في دراسة الأنثروبولوجي الغربي للإنسان، "فالأنتروبولوجيا هو علم الإنسان الغربي بالنسبة لذاته أولاً، وعندما يدرس الآخر، فهو يعيد إنتاج نفسه عبر إخضاع الآخر لمنهجيات العلوم الإنسانية التي تعتبر المحصلة التركيبية العليا والأخير لتلك للميتافيزيقا الإنساوية ذاتها التي تقود المشروع الثقافي الغربي. المشروع الثقافي الغربي.⁽²⁾

والمقصود من هذه العبارات أن الإنسان الغربي عند دراسة للآخر فهو ينتج ذاته باستخدام المناهج اللازمة للباحث الأنثروبولوجي، فهنا تتضح العلاقة القائمة بين الإنسان الغربي (الباحث) والآخر (محل الدراسة) فالعلاقة القائمة بينهما كوحدات داخل المجموعة الكلية أو النسقية (الإنسان كظاهرة)، إذن هي خطة لازمة في المنهج البنيوي.

ما هذه الخطة سوى تبيان العلاقة القائمة بين الأجزاء والوحدات التي تشكل كلا نسق واحد.

ثالثاً: المحايثة.

إن الدرس الذي يقدمه فوكو هو أن اللغة نسق مغلق، لذا فهو يرفض كل تأويل خارجي للغة أو شرح تاريخي، فالمبدأ الأساسي عنده هو أن اللغة نسق لا يعرف إلا قانونه الخاص، فاللسانيات الداخلية

⁽¹⁾ ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة: سالم يفوت وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، (دط)، 1989-1990، ص 7.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص ص 07-08.

ينتهم بالأنساق الداخلية للغة، في حين أن اللسانيات الخارجية تهتم بالمشورات الخارجية والمحاثة في اللسانيات تقتضي دراسة النسق اللغوي في ذاته من دون العودة إلى تاريخه ولا إلى علاقته إلى محيطه.^{1}

هنا يؤكد فوكو على أن كل موضوع قابل للتحليل يجب أن يؤخذ باعتباره نسقا مغلقا غير قابل لأي تأويل خارجي ودراسته للمجتمع باعتبارها أنساقا مغلقة تأكيد لهذا المبدأ أي يجب الاعتماد على بنية الأثر وليس على بواعثه وعلاقاته الخارجية، فمهمة الطريقة البنوية أن تعطي الدراسة الذاتية نوعا من معقولة الفهم، الذي يقوم مقام معقولة الشرح الذي يبحث عن الأسباب ومنه تتطابق المحاثة مع الفهم.

"إن ثم تفاوتاً هائلاً بين ما يحدث من قطائع على صعب كل ما هو محايت وعيني في مجالات المادة الطبيعية (العلوم الصحيحة) والمادة الحية (علوم البيولوجيا) والثروات الاجتماعي (العلوم الاقتصادية)، بحيث يعاد دمج المعيار المعرفي في الشيء نفسه، ويتم بذلك إبراز نتاياه على أنه حقيقة وليس مجرد تمثيل عنه".^{2}

إن أبسط شرح لهذه الخطة (المحاثة) هو النظر للنسق نفسه دون اللجوء إلى وحداته أو أجزاءه باعتباره حقيقة، وهذه تختلف عن الخطوة السابقة، فبعد النظر إلى العلاقة بين أجزاء النسق يوجب علينا اتخاذ إجراء آخر وهو دراسة وفهم النسق في ذاته.

"...نقول هنا أن هناك تفاوتاً هائلاً بين ما يحدث من قطائع حقيقية في هذه الميادين المعرفية الأساسية وبين استمرارية بنية اللامتاهي في الخطاب الضمني العقلاني الذي يسود المشروع الثقافي الغربي من حيث أيديولوجيا شمولية كبرى وضمنية، وتقود أساسية المنطوق الحضاري وتنعكس في مجالات العلوم الإنسانية ومنظوماتها الفكرية والإيديولوجية المقنعة".^{3}

رابعاً: المعقولة.

إن كل الخطوات السابقة تؤدي إلى هدف أساسي هو اكتشاف البنية، ذلك أن طبيعة البنية لا شعورية، أي ذات طبيعة عقلية ولا توجد على السطح أو على ظاهر الأشياء.^{4}

^{1} نفسه، ص 08.

^{2} ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 09.

^{3} المرجع نفسه، ص 08.

^{4} نفسه، ص ص 08-09.

لذلك يرى فوكو أن الخطوة الحاسمة في المنهج البنيوي هو التخلي من تعيين الواقع يجب حذف المعيش، فما ينبغي التخلي عنه هو المعيش والعياني الذي ندركه مباشرة على المستوى الفيتومونولوجي، أما ما يجب الاحتفاظ به فهو الواقع لأن في الواقع تكمن البيئة، لذا يجب الاعتماد على المعقولة من أجل الكشف عن هذه البنية، وعليه فالمنهج البنيوي الذي يهدف إلى البحث في الخصائص التفارقية Déférentiel التي تكون البنية المنطقية في نسق منطقي، مدعو دوماً إلى استعمال منطق ذي طبيعة ثنائية أو (ازدواجية) ما دام المنطق دائماً ذا طبيعة عقلية.

يوضح فوكو هذه الازدواجية في كتابه "الكلمات والأشياء": "بين الممارسات المعرفية ونتاجياتها الهائلة على الأصعدة العلمية المباشرة، وبين العقلانية المتحكمة في المفاصل المعرفية الرئيسية في المشروع الثقافي الغربي، لا يزال ميتافيزيقيا كلاسيكيا، وأما انتاجيته فأضحت من نوع الانتاجات المضادة".^{1}

يؤكد فوكو في هذه الخطة ضرورة استخدام العقل والمنطق معا باعتبارهما عملة ذات وجهين في المعرفة عامة وفي المنهج البنيوي خاصة.

خامسا: التزامن والتعاقب.

مما لا شك فيه أن هذه المرحلة هي التي ميزت البنيوية بشكل عام والمنهج البنيوي بشكل خاص، وأعطاهما أبعادا معرفية ونظرية، فماذا نعني بالتزامن والتعاقب؟^{2}

من المعلوم أن هذا المبدأ يرجع إلى مؤسس الألسنة البنيوية الحديثة دي سوسير ويعني التزامن زمن البنية وعناصرها في نسق مغلق، من هنا التزامن يعرض الثبات وينفي الحركة، يفرض المحايثة وينفي التاريخ، يرتبط بما هو متكون بما ناجم بما هو مكتمل، ولا نستطيع فهم التزامن إلا في ضوء مفهوم التعاقب، ومفهوم التعاقب ثانوي يتدخل حين تتعرض البنية لخلل في بنيتها، كأنهدام عنصرا مثلا ولحلاله بعنصر آخر، لذا فإن التقابل قائما بين التزامن والتعاقب.

ما دام الأول يهتم بالثبات والثاني يهتم بالتغيير والتعاقب، فالأول يهتم بأصل الأنساق والثاني يهتم بالمنطق الداخلي للشيء.

^{1} ميشال فوكو، المرجع السابق، ص ص 08-09.

^{2} نفسه، ص ص 9-10.

المبحث الثالث: في قواعد المنهج البنوي

تمهيد:

قبل أن نناقش قواعد المنهج البنوي، نعتقد أنه من الضروري التصدي لمشكلة يطرحها ضمناً المنهج البنوي، هذه المشكلة تتمثل في علاقة تلك الخطوات التي قوم عليها، والمبادئ التي يستند عليها، فمن الواضح أن خطوات المنهج البنوي تقوم أساساً على التجربة، أي على نوع من استعادة المنهج التجريبي في الوقت الذي يقوم فيه على مبادئ منهجية ذات طبيعة عقلية، ألا يشكل هذا تناقضاً؟

الواقع أن البنويين وخاصة ليفي شتراوس، قد أشار إلى الطبيعة الازدواجية للمنهج البنوي وعبر عن ذلك بقوله أنه منهج التحليلي والتركيبي، أو منهج الفهم والشرح، أو منهج التدرج والارتداد، إن هذا الطرح العام لطبيعة المنهج البنوي على التجريب يحتم علينا أن نفهم أولاً المقصود بالتجريب والذي قلنا عنه أنه تجريب على نماذج وذلك بعد عملية الملاحظة ووصف الموضوع وبما أننا في ميدان علمي محدد هو ميدان الأنثروبولوجيا فإن التجريب يعادل مرحلة البحث الميداني الذي يقتضي الملاحظة والتجربة التي هي هنا تجربة على نماذج يقيمها الباحث على جملة الوقائع التي لاحظها ووصفها.⁽¹⁾

فالتجريب وبناء النماذج هي إحدى المراحل الأساسية في البحث الميداني، وبعد هذه المرحلة يقوم الباحث واعتماداً على المبادئ الأساسية للمنهج بتحليل موضوع بحثه وهذا يعني مرحلتين الوصف والتحليل متكاملة، يكشف عن هذا التكامل كذلك طبيعة البنية ذاتها، فمن أجل إدراك البنية يجب الذهاب أبعد من الوقائع المعطى، أي الكشف عن الوقائع الحقيقي الباطني، أي يجب المرور من مرحلة الملاحظة الوصفية والظاهرية إلى المرحلة التركيبية العقلية، التي بواسطتها تكشف عن البنية، من هنا يرى ليفي شتراوس أن الطبيعة الجوهرية للمنهج البنوي أنه تدرجي أو ارتدادي أي أنه في الوقت الذي يتدرج فيه من الملاحظة إلى التجربة إلى النموذج للوصول إلى البنية، يرتد وذلك بتفكيك تلك البنية وتحليلها إلى عناصرها ومكوناتها وعلاقاتها.

إن هذه الصفة التي يتميز بها المنهج البنوي جعلت باحثة وهي ليينسكي تسمى المنهج البنوي بالمنهج الجدلي وذلك لكونه يقوم على جدل الوقائع الملاحظة والمبادئ العقلية، أو على جدل التدرج

⁽¹⁾الزاوي بوغورة، المنهج البنوي في أصوله ومبادئه وتطبيقاته، المرجع السابق، ص ص 130-131.

والارتداد، أو جدل التحليل والتركيب، ومن هنا يرى بودون أن المنهج البنوي ما هو إلا منهج يقوم بتحليل الشيء ثم تركيبه، وذلك من أجل الحصول على المعقولة الباطنية الكامنة للشيء.

إن هذه التوضيحات تبين أن العلاقة قائمة بين المستوى التجريبي والمستوى العقلي للمنهج البنوي، ولكن السؤال الذي يطرح هو: ماهي طبيعة هذه العلاقة؟

إن العبارات التي تصف المنهج البنوي: بمنهج التحليل والتركيب، والارتداد والتدرج، أو الجدل المفتوح، تعكس من جهة طبيعة عملية للمنهج البنوي، أي أنه كغيره من المناهج يتمتع بصفات ذات طبيعة إجرائية بحتة، ولكن البقاء على هذا المستوى من التحليل يخفي الطبيعة الأساسية للمنهج البنوي وهو كونه يقوم أساساً على القطيعة بين الواقع والعقل، وهذا ما تكشف عنه مبادئه ونظرياته، فما وصفناه بالطبيعة التكاملية، أو ما سمته ليبينسكي بالجدلية المفتوحة ينطبق على الجانب العملي.^{1}

أما الجانب النظري فيعكس تلك التقابلات المميزة للمنهج البنوي والتي تقوم على منطق ثنائي ازدواجي، هذا المنطق لا يدرك العلاقة المتبادلة وإنما يتوقف عند التقابل لذلك فإننا لا نتفق ورأي ليبينسكي في هذا المجال وذلك لأن الجدل وبأي فهم يقوم أساساً على العلاقات الباطنية وليس على التقابلات الشكلية وخاصة فيما يتعلق بليفني شتراوس.

يعتمد المنهج البنوي على جملة من القواعد منها:

أولاً: قاعدة الشمول والكلية.

وهي قاعدة نابعة من خصائص البنية ومبادئ المنهج البنوي وهي كما يقول كورفيز: "المهم هو اتخاذ موقف شمولي، أي أن المنهج البنوي في صميمه يعتبر تحليلياً وشمولياً في نفس الوقت، وهذه قاعدة كما قلنا نابعة من مميزات البنية، باعتبارها مجموعة تقترض الكلية، أن البنية ليس هي مجموع عناصرها، ولأنها تعتمد النظرة الشمولية كمبدأ منهجي.^{2}

^{1}الزاوي بوغورة، المنهج البنوي في أصوله ومبادئه وتطبيقاته، المرجع السابق، ص 131.

^{2}نفسه، ص 131.

ثانيا: قاعدة الفهم والشرح.

إن قاعدة الفهم تعني الاستبعاد المنهجي لجميع وجهات النظر المختلفة، والاقتران فحسب على القوانين الداخلية التي تحكم قيام ظاهرة ما أو لغة ما، وهي تعني في حالة الأدب: تحليل قواعد التنظيم الداخلي للصور والألفاظ، وقوانين بناء الحكاية، أما قاعدة الشرح فتعني بالجانب التاريخ وتتبع تطور وتكون ظاهرة من الظواهر، وقاعدة الفهم والشرح هي ترجمة للمبدأ المنهجي للترانم والتعاقب، كما أن الفهم يستند كذلك على مبدأ المحايدة الذي يعني ان كل موضوع ما هو إلا نسق مغلق، يملك معقوليته الداخلية في حين ان الشرح يستند على دراسة العوامل الخارجية والظروف المحيطة بالظاهرة.^{1}

ثالثا: قاعدة البساطة والواقعية.

التحليل العلمي يجب أن يعتمد على قاعدة البساطة والواقعية، والبساطة في المنظور البنيوي تعني إرجاع المركب على حالته الأولى، محالة البساطة، وذلك بتحليله إلى عناصره وأجزائه الأولية أما الواقعية فهي شرط لتحقيق العلمية لذا يجب الانطلاق من الملاحظة الموضوعية، من أجل الفهم الحقيقي للواقع، البساطة الواقعية قاعدة للتحقيق في ظل غياب أدوات أخرى للتحقيق العلمي، وهي القاعدة التي تمكننا من الوصول إلى فهم التطابق بين الفكر والواقع.^{2}

رابعا: قاعدة الاستبدال والتحويل.

يمكن أن نحدد البنيوية باعتبارها محاولة للبحث عن المتشابه داخل المختلف والمتنوع، ففي ميدان الأساطير مثلا يقتضي البحث أن نبرهن على أن الأساطير التي لا تتشابه أو يكون فيها التشابه عرضي، أي تلك الأساطير التي تظهر اختلافا وتنوعا، يمكن إرجاعها إلى بنية واحدة وثابتة، وذلك بعد إجراء سلسلة من الاستبدالات والتحويلات لعناصر تلك البنية.^{3}

خامسا: قاعدة الموضوعية.

تحل قاعدة الموضوعية في أنها نتيجة لأن القول بالبنيوية يعني نفي القول بالذاتية، أو بتعبير آخر لم تعتمد البنية إلا من أجل رفض الذاتي، وسيوضح ذلك بوجه خاص عند ليفي شتراوس، والموضوعية

^{1} الزواوي بوغورة، المنهج البنيوي في أصوله ومبادئه وتطبيقاته، المرجع السابق، ص 131.

^{2} المرجع نفسه، ص 132.

^{3} نفسه. ص 132.

غاية ومطلب كذلك لأن البنيوية والمنهج البنيوي لم يقدرا إلا ليؤسس علوما إنسانية قائمة على الموضوعية ، وهي أخيرا قاعدة لأن الشرط العلمي هو تحقيق الموضوعية، فالموضوعية تعني استبعاد الأفكار المسبقة والمعتقدات الخاصة، وما يتعلق بالمشاعر الذاتية، إلا أن الموضوعية لا تتوقف عند حد هذا الفهم في البنيوية، كما قلنا بل تتعداه لتتخذ مفهوما يتنافى والذات، بحيث نرى أن مهمة العلوم الإنسانية لا تكمن في بناء الإنسان، بل في القضاء عليه، لأن عنصر الذاتية عنصر مشوش لعملية الإدراك العلمي.^{1}

وبناء على هذه القواعد والمبادئ والخطوات، نستطيع القول إن المنهج البنيوي: "أولا: يجمع الحقائق المتفرقة ويحللها ثم يربتها في قائمة شاملة، ثانيا: يعين الروابط المتبادلة بين الحقائق ويصنفها في مجموعات، ويحدد ارتباطاتها الداخلية، ثالثا: يركب الأجزاء في كيان واحد، أي العناصر المعنية في نسق واحد.

فالمنهج البنيوي يمر بمراحل ثلاث هي مرحلة الملاحظة والوصف، ثم مرحلة تصنيف وتحديد العلاقات والروابط، وأخيرا مرحلة التركيب في إطار نسق كلي.

^{1} نفسه، ص 133.

المبحث الرابع: خصائص المنهج البنيوي

تتضح ثورة "فوكو" على مختلف العقائد والمقولات الراسخة، تلك المبادئ الوثوقية التي أرست دعائمها مختلف المناهج التحليلية، مناهج بنيت على هوامش الميتافيزيقا الغارقة في بحر اليقين المطلق، واضعا فوكو بذلك معالم منهجيته، بهدف زعزعت كل حقيقة ويقين، اعتقد لفترات طويلة أنها حقائق صادقة ضرورة، تلك الحقائق التي أثقلت التاريخ بصدقيتها اللامبررة، ساعيا فوكو من خلال هذا التأسيس بمشروع نقدي لا تواصل في قراءات التراث الغربي، بدءا من اللحظة الأفلاطونية إلى فترة المعاصرة، معتمدا في ذلك على آليات تميزت وتفردت بها منهجيته، دون غيرها من المناهج الأخرى.

أولا: الندرة La rareté.

أول آلية تعتمد في التحليل العباري هي مفهوم الندرة، فعلى عكس المناهج التاريخية الأخرى التي عادة ما ترفع شعارا مزدوجا يتمثل في مقولتي الكلية والوفرة، فالنصوص عادة ما تدعي الكلية، فيكون فعل قراءة النص من هذه الزاوية متجه إلى بيان التكامل الحاصل بين مجموع النصوص كونها تحمل دلالات مشتركة، وتعتبر عن العصر الذي أنتجت فيه، وعلى هذا تعمل هذه التحليلات على استتطاق النصوص من خلال إبراز ما كان في بنية البشر أن يقولوه لا انطلاقا مما نطقوا به أو كتبوه.^{1}

بمعنى أن ذات المؤلف دائما تمثل جوهر التحليل، فينتج عن ذلك دلالات متعددة لمدلول واحد، فتختزل كل المعاني في معنى بعينه، وهذا ما يسمى بوفرة المدلول بالنسبة للدال الواحد.

يستند قانون الندرة على مبدأ الكل الذي لا يقال أبدا، لأن العبارات وإن كانت كثيرة ووافرة، غير أنها تفتقر القدرة في التعبير عن مبدأ الكل، نظرا لأن اللغة في هذه الحالة لا يمكنها من خلال تراكيبيها أن تعطي إلا القليل مما كان قد قيل في فترة معينة، ومن هنا يتبين أن أي تشكيلة خطابية تظهر كمبدأ تقطيع داخل تشابك الخطابات، ومبدأ فراغ داخل حقل اللغة في نفس الوقت.

وعلى هذا الأساس يجب أن يحلل الخطاب من خلال التقطيعات والتصدعات والانشقاقات الحاصلة في بنية العبارة، ومن شأن هذا نفي أي معنى يمكن ان تحمله العبارة غير الذي ظهر به، فكل معانيها

^{1} ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ص 26.

محايدة لها، فالبنوية في تعاملها مع مختلف العبارات يجب أن تأخذ في عين الاعتبار وضع كل عبارة في سياقها الخاص، مما يعني نفي مبدأ الوفرة في النصوص.

ونظرا للقيمة التي يحتلها قانون الندرة، جعل من "بول فيين" يرى أن الأساس الذي اعتمده "فوكو" في المنهج ليس الخطاب ولا البنية ولا حتى القطيعة، فالحدس الأول لفوكو هو التخلخل (الندرة) بالمعنى اللاتيني للكلمة، فالوقائع الإنسانية مخلخلة، فهي ليست مستقرة في أكمل نطاق لها، فحولها فراغ لوقائع أخرى لا تتكهن بها بصيرتنا، فمن الممكن أن تكون مغايرة.^{1}

بمعنى أن الخطاب ليس له استقرار في ذاته، بل إن ميزته الأساسية هي التغير، فالوقائع الجزئية التي تغفلها المناهج التاريخية الأخرى هي التي تمثل جوهر المعنى الذي تتضمنه العبارة، مما يعني أن البنيات الدقيقة في العبارة هي التي تلعب دور الحسم في تغير معنى الخطاب، وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن أهم تجاوز قام به فوكو من خلال هذه الخاصية هو إسقاط وهم الكثرة في مقابل الندرة.

ثانيا: تحليل العبارة في خارجيتها.

جرت العادة فيما يرى فوكو أن تتجه مختلف التحليلات التاريخية صوب جوهر الموضوعات، أو نواحيها الداخلية، على اعتبار أن المظهر الخارجي لا يمثل سوى الجزء المادي الذي لا يمكن الاستناد إليه في الكشف عن الحقيقة التي تحتويها العبارة، فيتم بذلك مجاوزة العبارة والغاء ذاتيتها والمضي قدما نحو المخبوء الداخلي الذي سبق العبارة واستقر فيها، وبهذا المعنى سيكون المجال منفتحاً أمام التاريخ الكلي، ليحل مكان الصدارة، تاريخ لا يلبث أن يتتبع الأصل ونتاج تاريخ آخر على غرار التاريخ الأصلي.^{2}

إن هذا النوع من التحليل التاريخي لا يعدوا وأن يكون تاريخا متعاليا وهي الفكرة الأساسية التي يسعى إلى تجاوزها وتقويضها والانفلات من قيودها ووهمها، فلكون العبارة تتميز بالتبعثر والانتشارية، كان على البنيوية أن تتجه إلى وصف العبارة في تبعثرها الخاص.

^{1}بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية، فوكو وثورة في المنهج، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1992، ص 310.

^{2}ميشال فوكو، حفريات المعرفة، المصدر السابق، ص 112.

فلتحليل الخطاب في خارجيته وانفصاله، دون أن تنزع عنه قيمته الحقيقية، وبيان لخطه ظهور عباراته وتأثيرها كحدث، لابد أن يأخذ مبدأ الحياد بعين الاعتبار، ولا يعني "فوكو" الحياد بالمعنى الهوسرلي، الذي بمقتضاه توضح الموضوعات بين قوسين قبل إصدار أي حكم، وهو المعروف في الفينومولوجيا (بمبدأ الإيبوخيام Epochè) بل إن الحياد في البنوية وحتى الأركيولوجيا، يأخذ معنى استكشاف العبارة من خلال شكلها الخارجي الذي تكونت فيه، كما يجب أن تدرس العبارة كميدان للممارسات قائم بذاته، وليست نتيجة أو أثراً لشيء وضع قبلها، مع إسقاط كل الاعتبارات الذاتية أو الجماعية، فلا يجب أن يحيل الميدان العباري وإلى ذات فردية، أو إلى أي شيء كالشعور الجماعي، بل وصفه كعقل مجهول الهوية وغفل الاسم.^{1}

وتستلزم هذه الخاصية أن التحولات التي تحصل على مستوى العبارة غير خاضعة مطلقاً لمبدأ الوعي الزمني، وهذا عكس المناهج التاريخية التي تلحق الخطاب بالذات الواعية، وتحليلها انطلاقاً من القصديّة.

ثالثاً: التراكمية.

إن الغاية من هذه الخاصية ليست إحياء النصوص البالية وإعادة بريقها الذي فقدته مع مرور السنين عن طريق تتبع مصدرها وأصلها الذي تنشأ فيه، فالقراءة أو الأثر أو تفسير الرموز أو التذكر كلها تحيل إلى مبدأ واحد هو استئصال الخطاب الماضي وانتزاعه من تصوره وجموده، وابتعاث شيء من حيويته الضائعة للخطّة المعينة.^{2}

غير أن الوصف العباري لا يسعى أبداً إلى إحياء النصوص وهي رميم، بل إنه يرفع ويزيح مجموع الأفكار التي لها صلة وثيقة بموت النص، حيث تسعى الأركيولوجيا لأن تعطي بعداً أبولوجيا للعبارة، فدور هذه الآلية فيما يرى فوكو يتمثل في الكشف عن نمط الوجود الذي يمز العبارة.

ولا يحيل هذا المعنى إلى تتبع العبارات في تسلسلها الزمني بل على عكس ذلك يجب أن نغض الطرف عن الزمن الذي صيغت فيه تلك العبارات وتبلورت، وهو ما يتطلب التعامل مع العبارة على أنها أثر مستمر يتخلف ويبقى بعد زوال باعته وسببه، لأن العبارة لديها إمكانية المحافظة على وجودها وفق

^{1}المصدر نفسه، ص 113.

^{2}ميشال فوكو، *حفريات المعرفة*، المصدر السابق، ص 113.

دعائم مادية، ولعل من أهمها الكتاب، المؤسسات ومختلف الأوليات التي تعمل على تفعيل الخطاب، سواء كانت آليات سلطوية أو مؤسسات اجتماعية، كالعادات والتقاليد والأعراف، وهذا ما يعطي للموضوعات بعدا تحوليا، فالميزة التي تطبع مختلف تلك المؤسسات أنها لا تحافظ على وجودها كما ظهرت في بادئ الأمر، بل إن التغيير يغيرها لا محالة، سواء على مستوى المفهوم أو التصور، أو على مستوى الممارسة.

إضافة إلى ما سبق يرى "فوكو" أنه ينبغي أن ينظر للعبارة في تجمعها، فكل العبارات ميزتها التجمعية مع اختلاف في الكيفية التي تجتمع بها تلك العبارات في الحقوق والميادين المختلفة، وأخيرا يستدعي الوصف الأركيولوجي الأخذ بمبدأ الاستعادة، فللعبارات مجموعة عناصر منتظمة في حقل عباري ما تسبق تلك العبارة في تكوينها، وهو من يحدد لها موقعها في الآن نفسه، إلا أن لدينا قدرة تغيير العناصر وتنظيمها وفقا لعلاقات جديدة، فهي تكون لنفسها تاريخا خاصا بها، وترتبط مع ما قبله علاقة انتسابها.

لا يعني هذا أن الأركيولوجيا تسعى لاقتفاء الأصل أو تتبع لخطة ميلاد الخطاب، كما لا تهدف أيضا للبحث في الخطابات المفارقة، سواء في بداياتها أو في عودتها من جديد، بل إن الأركيولوجيا تدرس العبارات في شكلها التراكمي، ذلك التراكم الذي ما انفكت تحوره وترعجه، وتقض مضجعه وأحيانا تتلفه.^{1}

يقول فوكو: "لا ينبغي إذ وصف العبارات ككل مغلق مشبع بالدلالات، بل يجب أن توصف العبارة وتدرس من خلال الانقطاعات والانفصالات التي تعتبر ميزتها الأساسية، بعيدا في ذلك عن أي قصد أو نية تحيل إلى ذات كانت وراء إنتاج ذلك الأثر، بل إن العبارات يجب أن توصف دائما في شكلها الخارجي البراق، إضافة إلى أن الوصف الأركيولوجي لا يدعي لنفسه البحث عن أصل مفقود، بل يوجه الوصف نحو التراكمات النوعية مع الالتقاء الوقوع في شرك التأويل الذي يقتفي المعاني في أساسها الأول، فتحليل التشكيلات الخطابية كما يرى "فوكو" هو تحديد نمط خطاب ما [...] في ندرته [...] وفي روابطه الخارجية [...] وفي تراكميته.^{2}

^{1} ميشال فوكو، حفريات المعرفة، المصدر السابق، ص 115.

^{2} المصدر نفسه، ص 116.

رابعاً: القبلي التاريخي (الإبستمية التاريخية):

هذه الخاصية لا تقف للأصول ولا تتبع بدايات قد لا يكون لها وجود البتة، بل إن وظيفتها الأساسية تتمحور في الوقوف عند مختلف التشكيلات الخطابية في مختلف مستوياتها، وهو ما اصطلح عليه فوكو بتحليل الإبستمية في ظل تطور الممارسة التاريخية، أي البحث عما قيل في مستواه الوجودي، هذه الآلية يصطلح عليها فوكو بالقبلي التاريخي.

إن القبلي التاريخي يعتبر الشرط الأساسي لتكون العبارات، فالمسعى الأساسي الذي أراد تحقيقه فوكو في محاولته الأركيولوجية يتمثل في بيان الظروف التي من خلالها تمنح لخطاب ما صفة الحقيقة، وفي كل حقبة تاريخية معينة، توجد خلفيات على أساسها تبني المعرفة والبحث العلمي ومجمل هذه الخلفيات هو ما يشكل القبلي التاريخي.^{1}

فعلى عكس فكرة القبلي التي نجدها عند كانط التي بفضلها تنتظم المعارف الواردة من الحساسية يرى فوكو أنه لا يقصد به (القبلي التاريخي) الشرط الأساسي لصحة الأحكام أو بطلانها.

فما يعنيه في هذا المقام هو القبلي الذي يكون شرطاً لوجود العبارات [...] وإبراز شروط انبثاقها، قانون تواجدها مع عبارات أخرى، والشكل النوعي لنمط وجودها، والمبادئ التي تستمر وفقها في البقاء وتتغير وتندثر.^{2}

فالقبلي التاريخي من الزاوية الأركيولوجية هو مجموعة الشروط التي تتشكل في ظلها الوحدات الخطابية، لكون الخطاب لا يحمل في طياته حقيقة فقط، بل هو في الوقت نفسه يتميز بطابعه التاريخي طابع يميزه هو في ذاته دون تداخل مع باقي التواريخ الخطابية الأخرى.

إضافة إلى أن القبلي التاريخي فيما يقول فوكو: "ليس بمثابة بنية لا زمنية تعيش فوق الأحداث وفي سماء المثل الثابتة، بل يتحدد بوصفه مجموعة قواعد تميز ممارسة خطابية ما".^{3}

فكل ممارسة خطابية تخضع أثناء تكوينها لمجموع القواعد التي تحددها مسبقاً ظروف تاريخية معينة، وهي ممثلة في القبلي التاريخي، فكل عبارة تظهر على المسطحات الخطابية تتحدد وفقاً لقبليات

^{1} جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص 106.

^{2} ميشال فوكو، حفرات المعرفة، المصدر السابق، ص 118.

^{3} المصدر نفسه، ص 118.

تاريخية معينة، فللكشف عن الأسس التي احتكم إليها خطاب معين في حقبة تاريخية معينة يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار الوقائع التاريخية التي سبقته في الوجود.

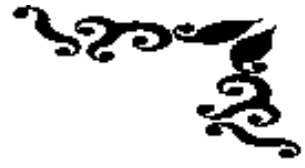
في هذه النقطة يتضح التصور الفوكوي للتاريخ، تاريخ منقى تماما من كل الترسيبات الميتافيزيقية، تاريخ لا يسعى للبحث عن الاستمرارية بين مختلف العلوم والمعارف، بل تتحدد مهمته في الحفر تحت المستويات التي تشكلت في ظلها الخطابات وانقطاعاتها الاستمولوجية، وتعتبر هذه الفكرة من أهم المبادئ التي تميز الأركيولوجيا كمنهج في وصف الخطابات عن باقي المناهج التاريخية الأخرى، تلك المناهج التي تعتبر تركه للتاريخ الميتافيزيقي المكتمل في ظل النسق الهيجلي، فمن خلال مبدأ القبلي التاريخي وباقي الآليات ستكون الدراسات التاريخية متجاوزة لمختلف الخطابات التي تؤسس لخطاب الحقيقة المطلقة المتضمنة في مختلف الروايات التاريخية، في حين أن فوكو يرفض بتاتا فكرة الرواية أو المؤلف ومجموع الخطابات الجاهزة التي من شأنها اغتيال ملكة الحس النقدي، والنتيجة من هذا أسر العقل بين قبضة الميتافيزيقا.^{1}

حيث يرى فيبين أن الأساس الذي قدمه فوكو كثورة لا يتمثل في كونه اكتشف مستوى جديد يسمى الممارسة لم يكن معروفا حتى يومنا، بل لقد بذل جهدا في رؤية ممارسة الناس نحو ما توجد في الواقع، إنه لا يتكلم عن شيء آخر مغاير لما يتكلم عنه كل مؤرخ، أي عما يفعله الناس، وبكل بساطة إنه يشرع في الحديث عنه على نحو دقيق بأن يصف حدوده الخارجية الحادة بدلا من أن يصفه بألفاظ غامضة رفيعة.^{2}

انطلاقا من التحليلات السابقة أمكننا القول أن فوكو قد تخطى كل الخطوط الحمراء التي رسمتها النسقية الغربية التي فرضت قيودها على مختلف التحليلات والأبحاث الإنسانية، فقد أوكل فوكو لنفسه مهمة الكشف عن القواعد والأسس الهشة، إلا أن فوكو سيكشف من خلال منهجه أنها حضارة بنيت على مختلف آليات الإقصاء والتهميش والإكراه بكل أشكاله وفي مختلف مستوياته، فمثلت هذه الاجتماعات القاعدة المغربية التي اشتغل عليها فوكو بداية بالجنون والمرض وأخيرا بالعقوبة، وصولا إلى إنشاء المؤسسة العقابية أو السجن، ساعيا بذلك اقتحام الدوائر المظلمة التي تعتبر من الطابوهات المحرمة أو الممنوعة، فهو حاول اقتحام المجهول والكشف عن المستور والبحث في الممنوع.

^{1} نفسه، ص 118.

^{2} بول فيبين، فوكو وثورة في المنهج، المرجع السابق، ص 324.



الفصل الثالث

الفصل الثالث



في بداية هذا الفصل ينبغي أن نؤكد أن فوكو لا يؤرخ لتاريخ الأفكار، بل إنه يحاول أن يؤكد الانقطاعات الابستمولوجية التي وقعت في تاريخ الفكر الغربي وكيف أن هذه الانقطاعات أحدثت فجوة بين فكر العصر الكلاسيكي من جهة وفكر عصر النهضة من جهة أخرى، وبين فكر أواخر القرن الثامن عشر وفكر العصر الكلاسيكي، وفكر فوكو نستكشفه من مؤلفاته المتعددة التي امتد صدورها حتى بعد وفاته، فقد صدر له سنة 1954 كتيب بعنوان "المرض العقلي والسيكولوجي Maladie mental et psychologie" وفي سنة 1962 أصدر كتابه الهام "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي Histoire de la folie l'âge classique"، وفي سنة 1963 صدر كتابه "مولد العيادة Naissance de la clinique" وفي سنة 1966 ظهر كتابه الأهم "الكلمات والأشياء Les mots et les choses"، وفي سنة 1969 أصدر كتابه المنهجي "أركيولوجيا المعرفة Archéologie du savoir"، وفي سنة 1971 ظهر له كتيب صغر اسمه "نظام المقال L'ordre du discours"، وفي سنة 1975 صدر له كتاب بعنوان "المراقبة والعقاب Surveiller et punir" وأخيرا أصدر سنة 1976 الجزء الأول من أصل ثلاثة أجزاء خصصها لتاريخ الجنسانية وهو "إرادة المعرفة La volonté des avoir" وصدر قبل وفاته بأيام 1984 الجزء الثاني وعنوانه "استخدام اللذات L'usage de plaisirs" والجزء الثالث وعنوانه "الاهتمام بالذات Le souci de soi"، وفوكو أيضا كتاب عن الأديب الفرنسي ريمون روسل صدر سنة 1963 اسمه "أنا بيلر ريفيار قاتل أمي وأختي وأخي Moi Pierre Rivière ayant égorgé ma mère, ma sœur, mon frère"، بالإضافة إلى المقالات التي كتبها فوكو في غمار فكره.

وفي هذا الفصل قسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تطبيق المنهج على مشكلة الجنون.

المبحث الثاني: تطبيق المنهج على المعرفة.

المبحث الثالث: تطبيق المنهج على السلطة.

المبحث الرابع: تطبيقات أخرى (نظرية القهر والاضطهاد، تاريخ الجنسانية).

المبحث الأول: تطبيق المنهج على الجنون.

في كتاب "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" يفند فوكو التفسير القديم للجنون ويحاول أن يغير النظرة السائدة للمجنون.

كان مشروع فوكو الفلسفي مشروعاً متكامل الحلقات، كان عملياً بقدر ما كان نظرياً، فهو لم يكتف بتعريف أسس الحضارة الغربية من الناحية النظرية فقط، وإنما تعدى إلى ذلك إلى تعريفها على أرض الواقع تعريفية مؤسساتها وإنجازاتها وإظهار ضحاياها، هذا الاهتمام أسميناه (نظر القهر عند فوكو)، حيث حاول أن يعطي حق الكلام لمن هم محرومون منه تاريخياً، أراد إعطاءه للمجنون الذي لا يستمع إليه إلا لكي يسخر منه، إن فوكو لم يقل أن المجنون أفضل من العاقل، إنما أراد التعريف الأركيولوجية لأسس الحضارة الغربية والكشف عن وجهها السالب الذي هو جزء لا ينفصم عن وجهها الموجب، لقد بذل جهداً كبيراً من أجل المقهورين والمضطهدين، فقد كشف عن أوضاعهم.^{1}

إن الجنون ليس مرضاً عقلياً تتم معالجته في المصحات والمستشفيات، إنه أعمق من ذلك، إن له أبعاداً سياسية واقتصادية وثقافية متنوعة، ذلك أن مؤسسات الطب النفسي ذاتها كانت متواطئة مع الطبقة البرجوازية المسيطرة آنذاك والتي كانت تفرض أخلاقياتها وقيمتها وقناعاتها على مختلف طبقات المجتمع الأخرى، ومن يحيد عنه يعد شاذاً ومجنوناً يجب عزله عن الآخرين.

دخل الجنون عالم المقال في عصر النهضة نتيجة لكتابات "أراسم" و "براننت"، أضف إلى ذلك أن التفكير الديني المسيحي كان ينظر إلى الجنون وفق مقياس العقل، بمعنى أن لا جنون إلا إذا قورن بما هو ليس كذلك.^{2}

أما التطور الكبير في مجال الجنون فقد حصل في العصر الكلاسيكي وهو ما يسميه فوكو بالعزل الكبير Le grande renferment أو العزل الأول، فإذا كان عصر النهضة قد سمح بحد أدنى من التعايش بين المقال والعاقل والمقال المجنون، فإن اللحظة الديكارتية مهدت على المستوى النظري لأشياء كانت لها أسوأ الآثار على أرض الواقع، ذلك أن ديكارت ولكي يصل إلى اليقين شك في كل شيء إلا

^{1} عمر مهيبيل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2010، ص 187.

^{2} المرجع نفسه، ص 188.

في شيء واحد وهو أنه يفكر أي أنه عاقل، لأن أداة تفكيره هي العقل، إذن لا مجال للجنون، لأن الجنون في تصوره من طبيعة ثانية طبيعة شريرة شيطانية يجب التخلص منها.

والجنون مجرد الإنسان من إنسانيته ويجعله على علاقة مباشرة بالجانب الحيواني فيه، وقد أورد فوكو أن الدوافع الحيوانية في العصر الحديث إذا كانت دليلاً على الإصابة بالمرض العقلي فإن ظهورها في العصر الكلاسيكي كان علامة على أن المجنون ليس مريضاً، فهذه الدوافع الحيوانية تكسبه صلابة وتحميه من كل ما يسبب المرض للإنسان العادي، فهو محصن ضد الجوع والألم والحر والبرد، وليس هناك ما يدعو للإشفاق عليه أو حمايته، ويترتب على ذلك أن الجنون لا يمكن أن يدخل ضمن اختصاص علم الطب، كما أنه لا يخضع لمجال التقويم والإصلاح، لأننا بصدد ثورة حيوانية جائحة لا تستجيب إلا للمعاملة الخسنة.^{1}

وكان ينظر للجنون على مستويين الاقتصادي والأخلاقي أما الاقتصادي يتمثل في إدخال المشفى كل الفئات التي كان النظام الملكي يرى بأنها تشكل خطراً عليه، فإلى جانب المجنون بالفعل عند المجنون عاطل عن العمل، والفقير والمشرّد والمعوق وغيرهم، أما في المستوى الأخلاقي والاجتماعي فقد كان ينظر إلى الجنون على أنه عدم وجهل وظلام، وأن المجنون يساوي خانة فارغة في الهرم الاجتماعي، ومكانه اللائق ينبغي أن يكون في زنزانة مظلمة ذات أقفال محكمة حتى يتقي الناس شره.^{2}

إن العزل الكبير لم يتم في فترة توقف فيها العلاج أو تخلفت عنها الأفكار الإنسانية، إلا أن الجنون كان يدرك على أنه نفي العقل في عصر اتصف بأنه عصر العقل، هو إذن لا وجود يقضي بالعزل.

لقد كان العزل يكشف عن ماهية الجنون باعتباره لا وجود ولذلك يردّه إلى حقيقته أي الهدم، ولما كان العزل لا يهدف إلا للإصلاح فإن هذا الإصلاح لا يكون إلا بالقضاء على هذا الجانب السلبي للوجود أو تأكيده بالموت، ولم يكن تمنى الموت بالنسبة للمعزولين دليلاً على الانحراف أو انعدام الإنسانية أو مبالغة في الوحشية، بل على الأحرى كان دليلاً على التناسق بين الفكر والتطبيق في ذلك

^{1} عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف، مصر، دط، 1989، ص 177.

^{2} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 189.

العصر، فقد احتوت سجلات بيوت العزل على عبارات مثل: "إن صحته تتدهور تدريجيا ولتعلم أن يموت قريبا".^{1}

أولاً: الجنون كمرض في العصر الكلاسيكي.

إن ظهور الجنون كمرض في العصر الكلاسيكي حقيقة لا يمكن إنكارها، أما ما يشكل صعوبة أمام الباحث فهو وجود خبرة أخرى في العصر الكلاسيكي تتعامل مع الجنون بالعزل والعقاب والعنف، ويرى فوكو أنه على الرغم من أن تواجد الخبرتين معا جنبا إلى جنب من شأنه أن يحيط المسألة بالغموض أمام الباحث غير المدقق، إلا أن هذه المعاصر هي التي تساعدنا في فهم نمط الإدراك الذي تميز به ذلك العصر.

شهد العصر الكلاسيكي إذن ظهور الجنون كمرض غير أن ممارسة العزل كانت مستقلة عن الطبيب، صحيح أن المستشفى العام كان مزودا بطبيب ولم يكن ذلك لشعور المسؤولين أنهم يحبسون فيه المرضى، بل نحو فهم من انتشار حمى المسجونين بين نزلاته، وليس في ذلك ما يدعو للدهشة، إذ يكن هناك أدنى فرق بين قلاع السجون وقصور الاستشفاء.

هناك نقطة هامة جدا تنبه إليها فوكو وطرحها بكل موضوعية أثناء تحليله، وهي أن النزعة الإنسانية في الطب التي بدأت تسود بعض المصحات والمستشفيات، إنما يرجع الفضل فيها إلى التأثير الذي أحدثه الشرق في الحضارة الغربية ولاسيما البلاد العربية يقول: "يظهر أن العالم العربي عرف منذ مدة مستشفيات حقيقية مخصصة للمجانين فقط، قد يكون ذلك في فاس ابتداء من القرن السابع، وقد يكون في بغداد في نهاية القرن الثاني عشرة، وبالتأكيد في القاهرة خلال القرن الثالث عشر، وقد اتبع في هذه المستشفيات نوع متميز من العلاج وهو علاج النفس بواسطة الموسيقى والرقص والعروض المسلية والشعر الرقيق الناعم، وكل هذا يجري تحت رعاية أطباء متخصصين يقررون وقف العلاج متى تحسنت حالة المريض".^{2}

^{1} ميشال فوكو، تاريخ الجنون، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص 50.

^{2} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص ص 190-191.

من هنا تبين مدى السبق الذي أحرزه العرب في نظرهم إلى الجنون، وهي نظرة إنسانية أخلاقية، قبل أن تكون طبية محضة أو علاجية، ويكفي أن نذكر بأن الطرق التي اتبعتها الشيخ الرئيس ابن سينا في معالجته للمرضى نفسياً في غالبيتها لا تستند إلى العقاقير والمسكنات إلا في الحالات النادرة.

ويذكر فوكو أيضاً أن العصور الوسطى قد جعلت للمجنون أدواراً يقوم بها في مشهد الحياة المألوفة وذلك قبل وجود الطب الذي يحدد معالمه، وبعد انتهاء العصر الوسيط مباشرة تولته رعاية نزعة إنسانية طبية ظهرت تحت تأثير التيارات الثقافية الآتية من المشرق العربي، ويقول فوكو عن هذه التيارات الثقافية قوله السابق، مما يتضح أن هذه الصورة المشرفة التي كانت عليها الثقافة العربية كانت حريصة على الاهتمام بالجنون^{1}، لأن كل إنسان كان مقتوناً بالجنون، فيما يقول فوكو فإن غموض الجنون نفسه ووجوده على حافة التجربة الإنسانية، قد ساعد البشر في تعاملهم مع جوانب قلقهم النابع من الموت، فظهر الجنون في الأدب والفنون في صورة من يعرف أكثر من العاقل وأقل منه على السواء، وبدل أن يطرح فوكو الأسئلة المألوفة عن علاقة الجنون بالإبداع فإنه نظر إلى المجانين من حيث علاقتهم بالعقلاء، ولأن المجنون قد بدا قادراً على النظر إلى المستقبل، فقد أدى دور البني في الغالب أو تنزل منزلة تتوسط بين الحياة والموت.^{2}

ثانياً: الجنون في العصر الحديث.

أما في العصر الحديث فإن الأمور قد تحسنت بعض الشيء وخاصة بمجيء فرويد الذي دفع بالمعالجة النفسية قدماً إلى الأمام، وخلص المرضى من بعض أنواع العقاب الجسدي والقمع الظاهر، ولكن اعتماده شخصية الطبيب الذي جعل منه شبه إله فرض سيطرة أخرى على المريض، وهي سلطة مباشرة لا يمكنه التخلص منها، فإذا كانت علاقة المريض بالطبيب جيدة كانت فرص شقائه أكثر والعكس صحيح، ثم إن تفسيرات فرويد التي تركز إلى الغريزة الجنسية وحدها جعلته لا يفهم الصوت الخفي للجنون، وبكلمة واحدة لقد تحدث عن الجنون، ولكنه لم يترك المجنون يتحدث عن ذاته بكل حرية.^{3}

لقد حاول فوكو بكل جهده أن يمزق غشاء النسيان، وأن يبديد الظلام الذي كان مضروباً حول الجنون والمجانين، وأن يقول للناس أن الجنون يسكن في أعماق كل منا، وأن صوته يمزق أعماق ذواتنا.

^{1} عبد الوهاب جعفر، المرجع السابق، ص 180.

^{2} إيديث كريزويل، المرجع السابق، ص 296.

^{3} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 191.

لقد وفق فوكو إلى حد بعيد في تمثيل مسألة الجنون ليس بوصفها مسألة الجنون ليس بوصفها مسألة طبية علاجية فحسب، بل وصفها ظاهرة نسبية لها خصائصها ومميزاتها الاجتماعية والتاريخية والأخلاقية، وأننا لن نستطيع فهمها وبالتالي فهم ذواتنا إلا إذا نظرنا إليها في نطاق هذا الكل الفكري التاريخي، وفي بعدها الإنساني الشامل.

وفي كتاب "المراقبة والعقاب" يحاول فوكو أن يتتبع نوعاً آخر من أنواع القهر الإنساني وهو القهر الذي كانت ومازالت تفرضه الأجهزة الأمنية والعقابية.

يتعجب فوكو كيف أن السجون توجد في داخل المدن ولكن قليلون هم الذين يعرفونها وإن عرفوها لا يكثرثون لما يدور بيم جنباتها، وفي هذا يسرد لنا قصة إعدام داميان Damians في 02 مارس 1757 الذي عذب بطريقة أقل ما يمكن أن نصفها بالوحشية أو البربرية.

وكل هذا كانت تقوم به الأنظمة الملكية على الملأ لتنتشر الرعب والخوف والرهيبة لدى كل من تخول لهم أنفسهم تخطي الخطوط الحمراء التي رسمتها لهم ملوكهم وأمرائهم، فلقد لاحظ ان النظام قد اختلف فأصبحوا يعتمدون على نظام المراقبة أو الحبس، أو ما يسمى بمؤسسات السجون وإعادة التربية، وبحسبه أن هذه المؤسسات بشكلها الحالي إرهابية قمعية ربما أكثر من الأنظمة السابقة، لأن السجن ظاهرة شاذة معزولة أو فريدة من نوعها، بل إنه يشكل جزءاً من نظام المراقبة العام الذي يتحكم بمجتمعاتنا الحديثة ككل.^{1}

في ختام هذه الدراسة الخاصة بمشكلة الجنون نستطيع القول إن تحليل فوكو لتجربة الجنون يقوم أساساً على أن:

➤ تاريخ الجنون: دراسة لما قبل تاريخ الطب العقلي والنفسي، ولتاريخه البدئي، ويظهر لنا في نموذج الأنثروبولوجيا البنيوية وذلك في آن معا في الوسائل المستخدمة لتحليل الخطابات وفي الابتعاد المنهجي عن ثقافة فوكو الخاصة.^{2}

^{1} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 193.

^{2} يرغين هابرماس، كشف حقيقة العلوم الإنسانية بواسطة نقد العقل، ترجمة: جورج بي صالح، مركز الإنماء القومي، (دب)، (دط)، 1992، ص 07.

- يتسع تاريخ العلوم عند فوكو ليشمل تاريخ العقلانية، فيقدر ما يدرس الجنون من خلال الأعمال الفنية والأدبية والفلسفية والعلمية بقدر ما يدرس العقل، لذلك فإن تاريخ الجنون بوجه من الوجه هو دراسة نقدية للعقل الغربي.
- لا يحدد فوكو أبداً وبشكل نهائي ما يقصده بالجنون إنه يدرسه فقط كتجربة ثقافية عرفت في أوروبا، ولعل ما يسجل عليه هو كونه يتعامل دائماً بكلمات غير محددة بشكل دقيق، كمفهوم اللغة أو الخطاب أو الجنون أو الإنسان... إلخ.
- يرى فوكو في علم النفس والتحليل النفسي شكلاً من أشكال الاستبداد الذي يمارسه العقل على الجنون، ومن هنا تساؤله الاستكاري عن كيفية الحديث عن الجنون بلغة العقل؟ ومناقشته لاحقاً لمسألة المعرفة والسلطة.
- يبدي فوكو افتتاناً وتعاطفاً كبيرين تجاه الجنون، ذلك أن الجنون ليس أكثر من شكل معرفي عجزت الثقافة الغربية سواء في العصر الكلاسيكي أو العصر الحديث عن إدراكه، كما يكشف تاريخ الجنون عن انقسام المجتمع إلى الذات والآخر، إلى العادي والمريض، إلى المألوف والغريب، إلى العاقل والمجنون، إلى الأساسي والمهمش.
- إن فوكو لم يدرس الجنون من أجل أن يجد له العلاج أو التعديل، ولكن ليتخذ كميّاراً وحقيقتاً اجتماعية أو وجودية في بعض الأحيان.
- إن هذه الدراسة التي سمحت له بربط الجنون بمختلف الممارسات الخطابية كالممارسات الأدبية والفنية والقانونية، وألا يدرسها من خلال بنيتها اللغوية أو المنطقية أو الدلالية، ولكن من خلال شروطها التاريخية التي تسمح بظهور خطاب ما كخطاب الجنون.
- لم يتوقف فوكو عند ظاهرة الجنون فقط، بل درس مجموعة من الظواهر قريبة من الجنون، كدراسة للمرض في إطار تاريخ الطب وذلك في كتابه مولد العيادة، وبهذا المعنى يعتبر هذا الكتاب استمرارية لتاريخ الجنون من حيث إلتباس الموضوع ونقله نحو أعمال لاحقة، وخاصة الكلمات والأشياء.^{1}

^{1} الزواوي باغورة، المرجع السابق، ص 158.

المبحث الثاني: تطبيق المنهج على المعرفة.

يهتم فوكو بالعلم بقدر ما اهتم بالمعرفة في علاقتها بالعلوم مثلا كيف انبثقت علوم أخرى هي البيولوجيا والاقتصاد وعلم اللغة، يرى فوكو أن الانتقال من العصر الكلاسيكي إلى العصر الحديث ثم بعد ان فقد العقل الإنساني القدرة على إقامة تلك الروابط التي تؤلف بين عناصره، أي أن هذا فقدان جاء على إثر الفراغ المعرفي الذي انتاب الإنسان الكلاسيكي في فترة من الفترات الزمنية، وأن مفهوم الطبيعة ككل يشير إلى غياب الإنسان كواقع أولي ملموس، ثم بوصفه موضوعا مطروحا على بساط البحث ومن الصعوبة بمكان تناوله وكذا هي بشرط لكل معرفة ممكنة^{1}، فالإنسان في الفكر الكلاسيكي كان يسكن أو يتمركز في الطبيعة عن طريقة ما يسمى بالطبيعة الجهوية المحدودة والتنوعية التي زود بها أثناء ولادته، كما هو الشأن بالنسبة لكل الكائنات الأخرى، إذا الإنسان بوصفه ذاتا وموضوعا لكل معرفة ممكنة لم يظهر إلا في مطلع القرن التاسع عشر، وكان سبب ظهوره هو ذلك التصدع الذي حدث في تنظيم المعرفة والذي يسر لمفكري القرن التاسع عشر مهمة "تعقل الإنسان" أي اعتباره ذاتا وموضوعا عوضا عن اعتباره طبيعة بشرية فقط، أضف إلى كل هذا بعض الضرورات العملية كالاضطرابات السياسية وغيرها، وهكذا اتخذ المجال الاستمولوجي مع هذا النوع أبعادا ثلاثة بدلا من المسار القديم المتجانس ذي البعد الواحد.^{2}

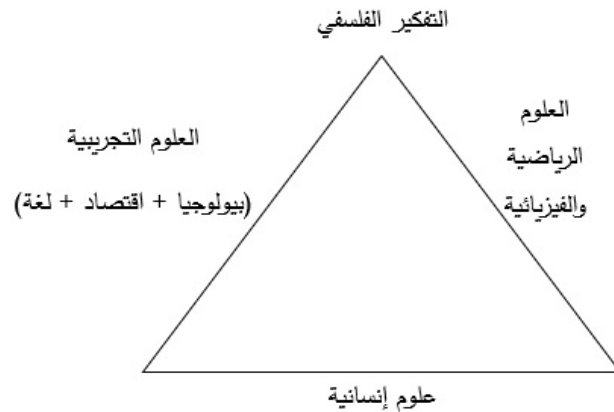
هذه الأبعاد تعبر عن محاور استمولوجية يلخصها فوكو كالتالي:

- ☒ العلوم الرياضية والفيزيائية.
- ☒ العلوم (اللغوية، البيولوجية والاقتصادية).
- ☒ التفكير الفلسفي.

نستطيع التعبير عن هذه الأبعاد بالشكل التالي:

^{1} عمر مهيبل، المرجع السابق، ص 93.

^{2} المرجع نفسه، ص 94.



هذا ما يسميه فوكو بثلاثي المعرفة Le trièdre des savoirs، يقول فوكو: "تخرج العلوم الإنسانية عن نطاق هذا الثلاثي الاستمولوجي، بمعنى أننا لا نجد لها في أي بعد أو على أي سطح من المسطحات التي رسمناها".^{1}

إن النماذج الثلاثة التي ذكرناها وهي النموذج البيولوجي والنموذج اللغوي والنموذج الاقتصادي هو في تفاعل مستمر فيما بينها، فمن جهة تستعين بمفاهيم متداخلة، ومن جهة أخرى انتقلت من الاهتمام بمفهوم "الوظيفة" و "الصراع" و "الدلالة" إلى الاهتمام بمفاهيم أخرى مثل: "المعيار" "القاعدة" و "النظام"، وهناك ثلاث مناطق يرى فوكو أنها أثرت في النماذج السابقة وهي المنطقة النفسية والمنطقة الاجتماعية ومنطقة دراسة الأدب والأساطير، هذه النماذج "المناطق" المكونة أعيدت للميادين الثلاثة السابقة وهي البيولوجيا والاقتصاد ودراسة اللغة.

ففي المستوى البيولوجي ظهر الإنسان ككائن له وظائف متعددة، فهو يتلقى مؤثرات أو منبهات فيزيولوجية ولكنها أيضا اجتماعية وإنسانية وثقافية، كما أنه يستجيب وينكيف ويناور ويخضع لمتطلبات المحيط، ويتألف مع المستجدات التي تواجهه وهو في بحث دؤوب على التوازن، وينصرف وفق قواعد وأحكام تكون في مجملها ظروف وجود ولمكانية إيجاد معايير وسطى للتسوية تسمح له بممارسة وظائفه، أما في المستوى الاقتصادي فقد ظهر الإنسان وكأنه له حاجات ورغبات يسعى لإرضائها وبالتالي أصبحت له مصالح ستتعارض في النهاية مع مصالح الآخرين، والتحليل نفسه سنجد أنه عندما يتكلم عن التطور الذي حدث في المستوى اللغوي إذ يرى أن اللغة سوف تحل محل مفهوم الإنسان في النهاية لأنها تتمتع بالقدرة على التحليق في الأفق الإنساني بشكل فعال وقوي.

^{1} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 94.

يقول فوكو: "الآن فإن مجموعات الانتظاميات هذه هي الممارسات الخطابية التي لا تتطابق مع الأعمال الفردية، وحتى لو ظهرت من خلالها وحتى لو أصبحت جلية للمرة الأولى من خلال إحداها، إلا أنها تمتد بشكل ملموس إلى ما وراءها وكثيرا ما توجد عددا ملحوظا منها، غير أنها لا تتطابق بالضرورة مع ما نسميه عادة علوما أو حقولا للمعرفة مع أن حدودها قد تكون أحيانا هي نفسها بشكل مؤقت".^{1}

إن تفسير فوكو يوضح الطابع الإبداعي لعمله، والذي كثيرا ما يكون فدريا بشكل لافت للنظر، وفي هذه الفترة المقتبسة إذا هو يلمح إلى الأطروحة التي يعرضها في كتابه أركيولوجيا المعرفة ومفادها أننا لا نستطيع أن نختزل الممارسات الخطابية إلى التصنيفات المألوفة للأعمال الفردية أو الحقول الأكاديمية، بل إن الممارسات الخطابية هي الانتقام الذي يبرر بالذات عند القيام بالتعبير عنه وعرضه، أي أنه ليس سابقا لهذا العرض، إن منهجية الممارسات الخطابية ليست من النوع المنطقي أو اللغوي، إن انتظام الخطاب يكون لا واعيا ويحدث على مستوى الكلام، كما يسميه سوسور، وليس على مستوى اللسان السابق في الوجود.

لا تشكل العلوم الإنسانية مثلا علوم خاطئة فحسب، بل إنها لا تشكل علوما مطلقا والشكل الظاهري الذي يحدد وضعيتها ويغرسها في العلوم الحديثة، يضعها في نفس الوقت خارج التحديد الذي يجعلها علوما، وإذا سألنا عند ألفة لماذا سميت بهذا الاسم، يكتفي بالتذكير بأنها ينتمي إلى التحديد الأثري لتجزؤها، وبأنها تدعوا وتستقبل الانتقال من نماذج مستعارة إلى علوم.^{2}

1- الشكل الظاهري الذي يحدد وضعيتها هو ثلاثي السطوح الذي وضعه فوكو:

أ- العلوم الرياضية والفيزيائية.

ب- البيولوجيا والاقتصاد والعلوم اللغوية التي لا تشكل علوما إنسانية.

ج- التفكير الفلسفي.

2- بما أن العلوم الإنسانية لا تدخل في الفقرات أ، ب، ج لا يمكن لهذه إذن ان تكون علوما

(هذا ما أردنا برهانه).

3- أما إذا أردنا أن نعلم لماذا تعتبر كذلك، فإن التحديد الأثري لجذرتها يفسر هذا الاعتبار

بسهولة، لأن تحديدها فوكو الأثرية تعود إلى الحديث بعد ذلك عما جرى، وكأن ذلك كان يمكن أن

^{1} جون ليشته، خمسون مفكرا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2008، ص 231.

^{2} جان بياجيه، البنيوية، ترجمة: عارف منير وبشير أبودي، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985، ص 104.

يستنتج أوليا من معرفة علوميتها، لأن التاريخ يبرهن أن كل ما هو مفكر به سيبقى يفكر به بواسطة فكرة لم تخلق بعد.^{1}

وإذا كان ليفي شتراوس قد قال من قبل أن العلوم الإنسانية يجب أن تكون علوماً بنيوية أو لن تكون على الإطلاق، فإن فوكو قرر من بعده أن العلوم الإنسانية لا تعد علوماً كاملة، أما الإنسان فقد تحرر أو تخلص من ذاتيته منذ أن اكتشف أنه لم يعد في مركز الخليفة أو وسط الكون ولا في قمة الحياة ولا في نهايتها، ولكن وحتى إذا لم يعد الإنسان سيد مملكة العالم وحاكمها وحتى إذا لم يعد يتحكم في مصيره ككائن، فإن العلوم الإنسانية تبقى وسائط خطيرة وتآلفها مع الفلسفة... ثم إن ادعائها الشمولية لا يرجع كما هو شائع إلى الضبابية أو الغموض الذي يكسوا مواضيعها، بل إنه يرجع إلى تعقد المجال الاستمولوجي الذي توجد فيه من جهة، وإلى علاقاتها الدائمة بالأبعاد الثلاثة السابقة من جهة أخرى.^{2}

إن فوكو لا ينكر دور العلوم الإنسانية بوصفها وسائط خطيرة في عملية المعرفة، بل إنه ينفر فقط من تعقد مجالها الاستمولوجي وتشعبه، وهذا التعقد هو الذي جعلها أقرب إلى الميتافيزيقا منها إلى العلوم ذات المناهج المتطورة والدقيقة.

يتساؤل فوكو عما تعنيه العلوم الإنسانية بالإنسان، وبتعبير آخر ماذا كان يمثل الإنسان في النسق القديم للعلوم الإنسانية، فيجيب بأن العلوم الإنسانية تتوجه إلى علوم الإنسان من حيث كونه كائناً يحيى حياته ويتكلم وينتج، إنه ومن حيث أنه كائن حي له وظائفه وحاجاته، وبصفة عامة فإن وجوده الجسماني أو الجسدي يجعله يتشابهك بالتدرج مع ما هو حي، وذلك بإنتاجه لأشياء وأغراض يستفيد منها وتبادل ما يحتاج إليه من الآخرين... وعموماً فإن العلوم الإنسانية لا ترى في الإنسان كائناً حياً مميزاً حيث يتمتع ببيولوجية خاصة واستقلال ذاتي فريد من نوعه، بل ترى في ذلك الكائن الحي الذي ينتمي إلى أعماق الحياة والذي يكون بذاته تمثلاته الخاصة التي لا يحيا بدونها والتي تعد مصدر قدرته الغريبة على تمثيل الحياة بكل صدق.^{3}

إن موضوع العلوم الإنسانية ليس اللغة بمعناها العادي والسطحي، بل هذا الكائن الذي يتمثل في أحاديته معاني الكلمات أو القضايا التي يسبغها عليها، ثم ينتهي به المطاف بأن يتمثل اللغة.

^{1} المرجع نفسه، ص 105.

^{2} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 97.

^{3} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 97.

في الواقع يسهل نقد فوكو العلوم الإنسانية المهمة بعض الشيء بإعطاء هذه العلوم تحديدا محددًا لا يقبله أي من تمثيلها، مثلا على ذلك لا يشكل علم اللغة علما إنسانيا يتعلق فقط بهذا التعيين الطريقة التي يستعملها الأفراد أو المجموعات لتمثيل الكلام... إلخ.^{1}

ومما سبق يتضح أن العلوم الإنسانية حسب فوكو ليست علوما بمعنى الكلمة، حيث أنها لم تبلغ بعد من الدقة والتحديد العلميين ما يجعلها قادرة على التقدم والتطور ولا تزال لحد الآن تشغل وضعا يسميه فوكو بالوضع ميتا ابستمولوجي.

إن المعرفة التي ظهرت في القرن التاسع عشر بظهور الإنسان هي نفسها التي سنتقض عليه وتشقه، فهو كل ما تفرق بين العلوم المختلفة فقد من قيمته ومن هويته، وبالتالي فالموت والفناء هما مصيره المحتوم، فالإنسان المعاصر إذا على وشك الإنحاء والضمور، على وشك الموت إن لم يكن قد مات فعلا، ذلك أن المجتمع المعاصر فوض دعائم الإنسان بمتطلباته القاسية التي جعلته خاضعا لها، إنه يموت مرات عديدة في اليوم الواحد، إلى جانب هذه المتطلبات هناك مؤسسة قوية ظهرت في المجتمع المعاصر وهي اللغة، فإذا كانت اللغة تلح الآن في الظهور كوحدة تعذر علينا فهم كونتها كلما لاحت لنا في الأفق، أليس في كل هذا دلائل تشير إلى أن النظام بأكمله سينقرض وأن الإنسان في طريقه إلى الفناء متى تجلت هذه اللغة.^{2}

لقد قلبت فلسفة فوكو الأركيولوجية مفهوم الكوجيتو الديكارتي، فهي لا تهتم بالذات الإنسانية بقدر ما تهتم بواقع الإنسان العلمي الذي يجب أن يكون سمة من سمات تقدم العلوم.

يقول فوكو: "في أيامنا هذه لا يزال نيتشه يمثل من بعيد نقطة الانعطاف في فكرنا، فقد أكد ليس على موت الإله فحسب، بل على نهاية الإنسان أو موت الإنسان أيضا... حيث يظهر أن موت الإله وموت آخر إنسان في العالم مرتبطان ببعضهما".

إن الصفحة الأخيرة كتاب الكلمات والأشياء تعد بدون منازع عصاره فكره كله، ففيها أطلق نبوءته المتعلقة بموت الإنسان وقد لا تعد صوابا إذا ما تركناه يتكلم إذ يقول: "مع ذلك هناك شيء واحد أكيد وهو أن الإنسان ليس المشكلة الأقدم أو الأكثر ثباتا التي طرحت على الفكر الإنساني، فإذا ما أخذنا فترة زمنية

^{1} جان بياجى، المرجع السابق، ص 105.

^{2} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 99.

قصيرة نسبيا وحيزا جغرافيا محددًا كما هو الشأن بالنسبة للثقافة الأوروبية منذ القرن السادس عشرة فإننا نتأكد في إطارها من أن الإنسان اختراع حديث العهد... الواقع أن من بين كل الطفرات العديدة التي أثرت على معرفة الأشياء ونظامها وعلى معرفة الهويات والاختلافات والخصائص والأشياء وباختصار في مركز كل حلقات هذا التاريخ العميق للواحد المتماهي مع ذاته هناك طفرة واحدة ابتدأت منذ قرن ونصف القرن والتي ربما هي الآن في طورها النهائي هي التي سمحت بظهور شكل أو هيئة الإنسان... وعموما فالإنسان ليس إلا اختراعا تبين لنا أركيولوجيا فكرنا بكل سهولة تاريخ ولادته، وربما نهايته الوشيكة".^{1}

^{1} المرجع نفسه، ص 100

المبحث الثالث: تطبيق المنهج على السلطة.

يرى فوكو أن دراسة مفهوم السلطة يدخل في الإطار العام المتمثل في البحث عن المسار الذي تتشكل فيه الذات الغربية بوصفها موضوع معرفة وعاملا جوهريا من عوامل تكونها، وإن العلاقات والإستراتيجيات والتقنيات المرتبطة بالسلطة (أو التي هي السلطة) والتي تدخل في تكويننا وتخرقنا وتصنعنا جميعا، تتراقق دائما وتتيح إنتاج أشكال من المعارف وأنماط من الحقيقة الضرورية لتماسكها كحقائق بديهية وطبيعية، ولكي يتسنى لها في الوقت نفسه أن تتحول إلى حقائق غير مرئية.^{1}

إن كلمة سلطة أصبحت لكثرة استعمالها مرتعا خصبا لمفاهيم متضاربة بل متناقضة أحيانا مما جعل الغموض ينتاب هويتها وشكلها ووحدتها، لأن الاستعمالات السابقة زعزعت مصداقية الكلمة وزادت من تشعباتها.

وقد حرص فوكو منذ البداية على إعطاء السلطة معنى أوليا أهم من الأجهزة والمؤسسات التي يعتقد أنها تمثلها سواء في المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي الحقوقي، أي أنه حاول أن يتخطى التعريفات التقليدية للسلطة بما فيها التعريفات الماركسية.

يقول فوكو: "لا أقصد بكلمة سلطة مجموع المؤسسات أو الأجهزة التي تقوم بإخضاع المواطنين في دولة من الدول، كما أنني لا أقصد نمط القهر الذي يأخذ شكل القاعدة عوضا عن أن يعمل بالعنف، وأخيرا فإنني بكلمة سلطة لا أقصد النسق العام للهيمنة الممارسة من طرف عنصر على آخر أو مجموعة على أخرى".^{2}

إن وجود السلطة في كل مكان يجعلها متوارية عن الأنظار وكان لا كان قد أظهر قواعد هذه اللعبة في محاضراته حول "الرسالة المخفية" ثم إن السلطة ليست تمثيلا لمؤسسات معينة أو حتى لدولة ما، بل إنها الاسم الذي نطلقه على وضع إستراتيجي معقد في مجتمع معين.

ويرى فوكو أن مفهوم السلطة يتميز بخصائص عدة أهمها:

^{1} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 181.

^{2} المرجع نفسه، ص 182.

- إن السلطة ليست شيئاً قابلاً للتملك أو الاحتكار أو الاقتسام، إنها تمارس انطلاقاً من نقاط متعددة ومتنوعة وهذا ما يعبر عنه مبدأ التملك.
- إن العلاقات التي تقيمها السلطة مع أنماط مختلفة من التطورات الاقتصادية والمعرفية ليست موجودة في حيز خارج عنها، بل إنها محايثة لها، وهذا ما يعبر عنه مبدأ التعدد.
- هناك تلازم بين علاقات السلطة والمؤسسات والعلاقات الأخرى، فهي ليست خارجية بالنسبة إليها، بل جزء لا يتجزأ من عملها وأساساً له، وهذا ما يعبر عنه مبدأ التبعية.^{1}
- علاقات السلطة قصدية وغير ذاتية في آن واحد حيث أنها تمارس في كثير من الأحيان بأساليب غير أساليب القمع والإيديولوجيا وهذا ما يعبر عنه مبدأ الممارسة.
- حيث توجد السلطة توجد هناك مقاومة، لكن هذا القول لا يعني أن المقاومة تعد عنصراً خارجاً عن السلطة بل هو من العناصر الأساسية المكونة لها، وهذا ما يعبر عنه فوكو بمبدأ الشرعية، وهكذا تعيش السلطة فيما يشبه الصراع المستمر وهو صراع مغذي لوجودها.

لقد تركز الاهتمام منذ زمن بعيد حول الأشخاص الذين يمتلكون السلطة وبالتالي يمتلكون الرقاب، ولم يتم الاهتمام بتاتا بدراسة آليات السلطة في حد ذاتها، كما أن موضوع العلاقات بين السلطة والمعرفة وتأثيراتها المتبادلة لم يخص بدراسة وتحليل الكافيين، ويقرر فوكو نتيجة خطيرة ستترتب عنها نتائج هامة تتعلق بمسيرته ككل، حيث يخالف الرأي القائل بأنه: "ما إن نلمس السلطة حتى تكف عن المعرفة" أو عن ان نعرف" ذلك أن السلطة تعني أبصار الحاكمين وتجعلهم مجانيين).^{2}

ويرى فوكو ان هناك تمحورا دائما للسلطة حول المعرفة، وتمفصلا للمعرفة حول السلطة، وإن ممارسة السلطة ينتج دائما نوعا من أنواع المعرفة، وأن المعرفة بدورها تفصح عن أثر من آثار السلطة، وبهذا يكون قد دحض التصور الذي يرى بأن السلطة والمعرفة متنافران ولا روابط بينهما، فالسلطة تمارس من طرف أناس لا علاقة لهم بالفكر ولا بالعلم، أما المعرفة فهي من اختصاص فلاسفة أو غيرهم يعيشون في أبراج عاجية لا صلة لهم بالواقع وما يجري من احداث حية معبرة.

إن العكس هو الصحيح فحيث توجد السلطة توجد المعرفة أو حد أدنى منها، حيث توجد المعرفة يوجد حد معين من السلطة، وممارسة السلطة تؤدي ولو بشكل غير مباشر إلى تراكم معلومات وتقنيات تشكل في الأخير شكلا من أشكال المعرفة، أما ممارسة المعرفة فينتج عنه هو أيضا نوع معين من

^{1} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 183.

^{2} المرجع نفسه، 183.

السلطة، وخير دليل على ذلك سلطة أستاذ الجامعة الذي له الحق في أن يجيز أي طالب أو لا يجيزه، بل إن العلم ذاته أصبح سلطة مؤسساتية قائمة بذاتها نتيجة تكور الأنظمة الجامعية.

لقد أراد فوكو تجزئة مفهوم السلطة لوحداث مصغرة من أجل يحل اللغز ويكشف عن السر أو بالأحرى من أجل أن يتجنب ترديد المقولات الماركسية الكلاسيكية، إنه لا يريد البحث عن سر السلطة في أعلى ذراها، أي في جهاز الدولة وإنما يريد البحث عنه في القاعدة في مناطق مجهولة لا يظن أحد أنه متوقع فيها، إنه لا ينكر أهمية التفسير الماركسي الهرمي والطبقي للسلطة، بل على النقيض من ذلك براه صحيحا في مجمله ولكنه غير كاف، فهناك أشياء أخرى ينبغي إضاءتها من أجل حل اللغز.^{1}

على النقيض من ذلك فإن ما يهم فوكو ليس معرفة الأشخاص الذين يمارسون السلطة، بل معرفة دقيقة وعميقة للآليات التي تمارس من خلالها، ذلك أن تحديد الممارسين للسلطة يدخلنا في متاهات تفقد المشكلة أهميتها وحيويتها، والطريق المثالي لمعرفة آليات السلطة هو تجزيئها إلى وحدات صغيرة يسهل إمكانية ملاحظتها ودراستها وفهمها.

لقد استطاع فوكو الوصول إلى هذا المفهوم من خلال تأمله النظري ونضالاته، هذه النضالات التي أسهمت بشكل واضح في أحداث ماي 1968، مع ذلك فقد كانت صورته النضالية مخالفة لصورة الإلتزام السارترى أو صورة الحكيم الإغريقي.

كما يقول لاردرو: "إن الشيء الجديد في فوكو أنه فيلسوف لا يقترح علينا أية حلول، ولا يقول شيئا يعدنا بحياة أفضل"^{2}، إنه واقعي في كل شيء، يحلل المشكلة أو الظاهرة، يثير حولها التساؤلات اللازمة لوضوحها، ومتى تم وعي الآخرين لها تركها لغيرها.

قد شهدته شوارع باريس أكثر من مرة يتظاهر إلى جانب الطلبة والمهاجرين، و ضد حرب الجزائر ولفيتنام وغير ذلك من القضايا المحسوبة على اليسار.

كان فوكو فيلسوف عصره بهومومه وتعقيداته بنجاحاته وانتكاساته، إذ لاحظ ان مرحلة ما بعد الأحداث والتمتيزة بعدم الخضوع لأية هيمنة حزبية أو إيديولوجية أو مؤسساتية أصبحت تطلب الاعتماد

^{1} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 185.

^{2} المرجع نفسه، ص 186.

على فئات أخرى مقهورة غير العمال والفلاحين كالطلاب والمرضى والمساجين وعمال المؤسسات والإدارات إذا كان على كل واحد أن يفضح القمع والإرهاب الذي يتعرض له داخل المؤسسة.^{1}

وباختصار كل هذه المقاطع السابقة تجاهلت (روح العصر) التغيرات الاجتماعية والسياسية التي كانت جارية، المراحل الأخيرة من حكم ديغول ثورة الطلاب الوشيكية واندفاع الطلاب الثوريين وهم يصبحون بأشمنزاز للألتوسريين، البنى لا تنزل إلى الشوارع، إن هذا الحكم المتلاشي بالتححرر من عقلانية علمية أخذت أشكالاً قمعية قد عمل على تزويد ما بعد البنيوية بالوقود طول عشرين عاماً إلى الآن.

ملخص هذه الدراسة من أجل إنجاز تحليل ملموس لعلاقات السلطة يجب التخلي عن النموذج القانوني للسيادة، يفترض هذا النموذج أن الفرد موضوع قانون وحقوق طبيعية أو سلطة بدائية، كما يجعل من إبراز التكون الأمثل للدولة هدفاً، ويجعل أخيراً من القانون المظهر الأساسي للسلطة، لا يجب دراسة السلطة انطلاقاً من الحدود الأولية أو البدائية للعلاقة، ولكن انطلاقاً من العلاقة ذاتها باعتبار أن العلاقة هي التي تحدد العناصر التي تقوم عليها، وبدلاً من افتراض وجود رعايا مثاليين استطاعوا التخلي عن حقوقهم ليخضعوا للسلطة، يجب البحث في علاقات الإخضاع التي تصنع الرعايا.^{2}

وبدلاً من البحث عن الشكل الموحد أو النقطة المركزية التي منها تشتق جميع أشكال السلطة، يجب أن نترك هذه الأشكال تعبر عن قيمتها في تعددها واختلافها وخصوصيتها وانقلاباتها، إذن دراسة كموازين قوى تتقاطع ويحيل كل منها إلى الآخر وتتقارب أو العكس تتعارض أو تميل إلى الإلغاء، وأخيراً بدلاً من إعطاء ميزة للقانون بوصفه مظهراً للسلطة، من الأفضل أن نحاول دراسة تقنيات الإكراه المختلفة التي تمارسها.

في الجزء الأول من المقال شكك ميشال فوكو (1926-1984) في أبحاثه الفلسفية في منطق تاريخ الفكر وأعاد السؤال في أسس الحداثة والسلطة القديم ومعرفته، ومن ثم سعى إلى تفكيك سلطة المعرفة ومعرفة السلطة بتفكيك آليات انقلاب الحديث على القديم.

وحاول فوكو الوقوف عند تحليل وتفكيك أعراض عقلانية الحداثة السلبية بوصفها المسؤولة عن آليات الهيمنة والتنشئة والنرجسية والاعتراب وظاهرة العنف والتمرد، حيث يستعرض نقداً حاداً للعقل

^{1} نفسه، ص 187.

^{2} ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، ترجمة: الزواوي باغورة، دار الطلبة، بيروت، دط، 1997، ص 254.

الوضعي عبر تاريخ العلوم الإنسانية والكشف عن المجمل التاريخ السري الذي ساهم في تكبيل العقل والوجدان بفعل التواطؤ بين السلطة والمعرفة.

وفي هذا الجزء الثاني من المقال يطرح الباحث كيف كشف ميشال فوكو عن ازدواجية العنف الذي تمارسه السلطة على الروح والجسد معاً، لا سيما في كتابة "المراقبة والمعاقبة" والذي حلل فيه بعض الأساليب الدالة على إخضاع الجسد وسجن الروح.

مؤدى ذلك إلى تفكيك مبررات عنف السلطة الذي يمارس عبر العديد من الإجراءات والممارسات والنظم والمؤسسات يشكل فهما لجوهرها وطبيعتها معاً، ما دام انه يمر عبر الآليات التي تقوم عليها السلطة ذاتها، ومن ثم أهمية إمطة اللثام عن ذلك العنف الجوهرى الموجود في صلب العدالة، خاصة منها ما يمارس في حق المنحرفين الذين يتناولون على قانونها بحجة دفع الانحراف عن المجتمع والقضاء عليه.^{1}

^{1}حسن المصدق، جريدة العرب الثقافي، بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، تقنيات السيطرة على الجسد في أعمال ميشال فوكو الفلسفية، الخميس 26.07.2007، ص 01.

المبحث الرابع: تطبيقات أخرى (نظرية القهر والاضطهاد).

إن آخر أعمال فوكو حول تاريخ الرغبة الجنسية إلتفت إلى اليونان القديمة لدراسة كيف أن الرغبة الجنسية هناك كانت جزءا من شبكة كاملة من الممارسات (أخلاقية وسياسية واقتصادية) الأساسية لتكوين النفس وحكمها والعناية بها، هنا يشكل تاريخ الذاتية اهتمام فوكو الصريح، لكن المقاربة التي تبناها تحليل النصوص بتدقيق شديد تذكرنا بكتابة نظام الأشياء حيث تكون الذاتية نتاجا للممارسات الخطابية.^{1}

ففي كتابه تاريخ الجنسانية بأجزائه الثلاثة يفصح فوكو عن مشروع طموح، إذ بين منذ البداية أنه لا يهدف إلى إعادة تركيب تاريخية الممارسة الجنسية، ولا إلى تحليل الأفكار العلمية أو الدينية أو الفلسفية التي صورت وفقها هذه الممارسات، إنه يسعى إلى معرفة الكيفية التي استطاعت من خلالها المجتمعات الغربية الحديثة أن تكون ما يشبه تجربة جنسانية لم تكن في الحسبان حتى نهاية القرن التاسع عشر تجربة ارتبطت ارتباطا وثيقا بمستوى التطور الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي الذي بلغته تلك المجتمعات.^{2}

وكتابه "استخدام اللذة" بين كيف أن اللذة (الجنسية وغيرها)، مع أنها جزء شرعي من النظام الاجتماعي اليوناني إلا أنها مصدر للتوتر خصوصا في معرض تفاعل العلاقات الاجتماعية بين الرؤساء والمرؤوسين.

وتستمد أقصى درجات اللذة من التحقيق الكامل لمكانة المرء الاجتماعية في الرغبة أو المجال الجنسي، فاللذة إذا ليست نتاجا لتجاوز الحدود.

لقد ربط اليونانيون أيضا اللذة والحرية الفردية بضبط النفس في علاقات المرء المنظمة بالآخرين، وفي مقالة "العناية بالنفس" يحلل فوكو فكرة ضبط النفس ويوجز الطريقة التي بذل فيها اليونانيون جهدا كبيرا لتطوير أنظمة مختلفة من القواعد لتطبيقها في حالات متنوعة من السلوك بما فيها السلوك الجنسي، ومن دون بذل جهد تجاه النفس مما يؤدي إلى تزايد ضبط النفس باستمرار، فإن الوصول إلى كل من اللذة

^{1} جون ليشته، المرجع السابق، ص 238.

^{2} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص 194.

والحقيقة يصبح محدودا تمام، لأنه بالنسبة إلى حياة تسودها العناية بالنفس، يكون الإسراف لا الإنحراف هو الخطر لا ممارسة الجنس خارج الزواج بل الإسراف فيه داخل الزواج هو المشكلة.^{1}

إن التاريخ الذي كتبه لنا ميشال فوكو يقدم لنا إذا وجها آخر للذة، اللذة من خلال التنظيم وضبط النفس بدلا من أن تكون من خلال الخلاعة والفجور وانتهاك المحرمات فيما يتعلق بالرغبة الجنسية، إن العالم اليوناني منفصل الآن عن العالم المسيحي، وهكذا تتحطم فكرة أخرى معترف بصحتها^{2}، ربما بصورة نظرية أكثر يحلل فوكو في كتاب تاريخ الرغبة الجنسية الرابطة بين السلطة والمعرفة، وهو تصور فقهي فلسفي الذي ينظر إلى السلطة باعتبارها قمعية أساسا، وهي بذلك سلبية من حيث الأساس ويجب تجنبها، وكما أنه ليس للسلطة محتوى جوهرى فلم يجد (بعد) كبت الجنس، وهنا يبين البحث التاريخي الخطابات المتعلقة بالرغبة الجنسية والنشاط الجنسي.

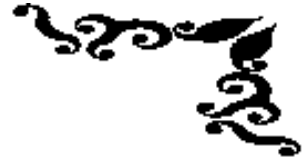
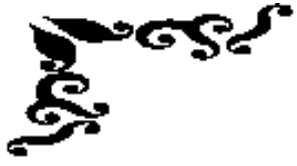
ويرى فوكو أن الكلام عن الجنسانية بوصفها تجربة تاريخية فردية، يفترض الإلتزام بنسبية الموضوع المراد تحليله والرجوع قليلا إلى الوراء، إلى التراث الغربي القديم أو العصور القديمة جعل فوكو يطرح سؤالا بسيطا وعاما في الوقت ذاته، ويتمثل في الصيغة التالية: لماذا نجد السلوك الجنسي أو النشاطات الجنسية وما يتبعها من متع تبدوا وكأنها موضوع انشغال أو اهتمام أخلاقي، بمعنى أن هذه التساؤلات تتعدى الجانب الجسدي الذي يمثل النزوة العابرة لتتساءل عن مدى أهمية الأسس الأخلاقية التي تستند إليها، وعن النتائج التي يمكن استخلاصها من ذلك.^{3}

أما في الجزء الرابع الذي لم يطبع وهو "اعترافات الجسد" فكان يفترض أن يناقش فيه تجربة الجسد في القرون الأولى للمسيحية والدور الذي لعبه التأويل في تطهير الرغبات، وباختصار فإن الكتابين الأخيرين يظهران أن المسيحية قد أحدثت قطيعة مع الأخلاق الجنسية المتحررة نسبيا والتي كانت سائدة أيام اليونان والرومان، ذلك أن المسيحية فرضت على المجتمعات الغربية نوعا من القوانين والقواعد الصارمة التي ينبغي أن يخضع لها كل شخص لأنها تمثل إرادة الإله، ونحن نشهد اليوم انهيار هذه القوانين وتفسخها في المجتمعات الغربية، والبديل عنها لن يكون حسب رأي فوكو إلا البحث عن صيغة أخرى لجماليات الوجود.

^{1} جون ليشته، المرجع نفسه، ص 239.

^{2} جون ليشته، المرجع السابق، ص 238.

^{3} عمر مهيبيل، المرجع السابق، ص ص 194-195.



خاتمه



كان للكشوفات العلمية في كل مرة تحرر الإنسان من الأوهام الزائفة وتحقيق ما لم يكن يتوقع الوصول إليه، فأعطى لنفسه حياة جديدة، فكان لكل تقدم جديد تطور في مجال حياته، لكن فوق كل هذا يجب أن يكون لهذا التطور نمط يحكمه جديد عن سابقه.

فقد أبرزت هذه الدراسة المبادئ والتطبيقات المختلفة للمنهج البنيوي في فلسفة "ميشال فوكو" بتفكيك الجهاز المفاهيمي للمنهج البنيوي، وبهذه العملية توصلت إلى جملة من النتائج التي أخصها في هذا البحث على النحو الآتي:

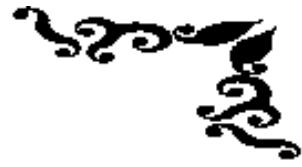
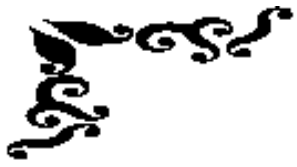
- بعد أن تبين لنا بعض معالم المنهج البنيوي وأصوله التاريخية والمعرفية وأصبح في مقدورنا الحديث عن منهج بنيوي متميز عن باقي مناهج العلوم الإنسانية.
- إن البنيوية كتوجه منهجي اتخذت من العلوم الإنسانية موضوعاً لها، وعملت على صياغة نموذج لعملية هذه العلوم.
- كما توضح لنا أن البنيوية في ثوبها الفلسفي فرنسية الأصل، والفرنسيون كمت هو معروف من أكثر الشعوب محبة للجدال النظري والتغيير في مجال الفكر، لهذا فإن البنيوية لم تأت كخطوة منطقية لسد الفراغ الناتج عن انحصار الفلسفة الوجودية فحسب بل لأن معطيات جديدة قرضت نفسها وكان طبيعياً أن يعبر عنها في مذهب فكري متماسك ومنهج فلسفي يضمن استبدال مفاهيم معينة بمفاهيم أخرى.
- إن المنهج البنيوي جعل الفكر الفلسفي دائم التكيف مع الوضع الجديد، تكيف يرمي بصفة خاصة إلى عقلنة موضوعه عقلنة يمكنها مواكبة المقال العلمي المسيطر في المرحلة المعاصرة ذلك أن هذا التطور أدخل تغييراً عميقاً في التفكير الاستمولوجي المعاصر عامة.
- إن هذا الفكر الجديد ساهم في اختفاء منطقية العقل الموحد في شكله الفلسفي الكلاسيكي، وسيادة منطقية جديدة هي منطقية العقل المتنوع أو العقل المرن.

يمكننا الإجابة على إشكالية البحث المطروحة ومنه نقول إن فوكو أسس لمنهج فلسفي حقيقي من خلال وضعه للقواعد والقوانين لهذا المنهج، وبالتالي سعى فوكو إلى التخلص من كل التشوهات الفكرية والشوائب الذي بالفكر الغربي والعقل الغربي لفترة من الزمن، فقد حاول التخلص من قيوده المعقولة.

يمكننا أن نقدم مجموعة من الاقتراحات والتي تتمثل في فتح باب البحث أمام الطالب الجامعي للغوص في القضايا الفلسفية التي من شأنها إعلاء دور الفلسفة، بالإضافة إلى مناقشة مختلف القضايا

ومحاولة توفير العديد من الكتب الفلسفية التي لم يستطع الطالب الجزائري الحصول عليها لعدم توفرها، وبالتالي يجب تجديد المكتبة الجامعية.

يبقى مجال البحث مفتوح لكل من يهيمه البحث في المنهج البنيوي بصفة عامة، وللمهتم بفلسفة فوكو بصفة خاصة، وبما أن المعرفة تراكمية فإنه يمكن استغلال هذا البحث في تقديم نظرة استشراقية حول مصير المعرفة والفكر الفلسفي والعقل البشري في القرن الواحد والعشرين.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع



أولاً: المصادر.

- 1- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة: سالم يفوت وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، (دط)، 1989-1990.
- 2- ميشال فوكو، تاريخ الجنون، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006.
- 3- ميشال فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة: الزواوي باغورة، دار الطلبة، بيروت، دط، 1997.

ثانياً: المعاجم.

- 4- الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
- 5- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007م.

ثالثاً: المراجع.

- 6- بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية، فوكو وثورة في المنهج، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1992.
- 7- جان بياجيه، النبوية، ترجمة: عارف منير وبشير أبودي، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985.
- 8- جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993م.
- 9- جون ستروك، النبوية وما بعدها، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، (دط)، 1996م.
- 10- جون ليشته، خمسون مفكراً معاصراً من النبوية إلى ما بعد النبوية، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2008.
- 11- حسن المصدق، جريدة العرب الثقافي، بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، تقنيات السيطرة على الجسد في أعمال ميشال فوكو الفلسفية، الخميس 26.07.2007.

- 12- د. الزواوي بوغرة، النبوية منهج أم محتوى، مجلة عالم الفكر، عدد4، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 30 أبريل 2002.
- 13- الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
- 14- الدكتور عبد السلام المسدي، قضية النبوية، دراسة ونماذج، دار أمية، تونس، ط1، 1991م.
- 15- زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، مصر، (دط)، دس.
- 16- الزواوي بوغرة، المنهج النبوي، أصوله ومبادئه وتطبيقاته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دط).
- 17- سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مديولي، (دب)، (دط)، (دس).
- 18- عبد الوهاب جعفر، النبوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكوه، دار المعرفة، الإسكندرية، (دط)، 1989م.
- 19- عمر مهيبيل، النبوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2010.
- 20- ليونارد جاكسون، بؤس النبوية، الدب والنظرية النبوية، ترجمة: تائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط2، 2008م.
- 21- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007م.
- يرغين هابرماس، كشف حقيقة العلوم الإنسانية بواسطة نقد العقل، ترجمة: جورج بي صالح، مركز الإنماء القومي، (دب)، (دط)، 1992.

المخلص:

عالج هذا البحث موضوع البنيوية، كمنهج فلسفي عند الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" ومدى صلاح تطبيقاته على بعض المشكلات، مبرزاً الجوانب التي قدمها فوكو ناقداً وفاحصاً لموضوعات الفلسفة الوجودية والماركسية فمن خلال الكشف والتفحص في فلسفة فوكو يتضح أنه حاول أن يؤكد الانقطاعات الابستمولوجية التي وقعت في تاريخ الفكر الغربي كما حاول أن يغير النظرة السائدة في عصره .

ويتلخص جهده الابستمولوجيا لأركيولوجي الذي بذله: باللاتاريخ، اللإنسانية، اللاتطورية وبمعنى آخر لاتاريخ، لإنسان، لاتطور .

كما حاول أن يستقصي الأرضية التي جعلت من العلوم الإنسانية علوماً ممكنة، ليضعها بعد ذلك في إطارها المعرفي الذي تستحقه، وهو أنها ليس علوماً بالمرّة. بل إن الإنسان ذاته لم يعد ذلك الموضوع المقدس، فقد ظهر لأسباب عملية بحثة وسيزول بزوال هذه الأسباب.

Abstract:

This research treats the subject of Structuralism as a philosophical method at the French philosopher Michel Foucault and to what extent his applications on some problems are right, by highlighting the aspects that Foucault presented as a critic and as an examiner for the topics of existentialism and Marxism philosophy. By reviling and examining Foucault's philosophy, it becomes clear that he was trying to confirm the Epistemological interruptions that took place on the history of the Western thought. In addition to his attempt to change the dominant view of that era. Therefore, his archeological and Epistemological effort can be summed up in: non-history, inhumanity and non-development. In other terms, no history, no man, no development. Foucault had also tried to investigate the base which made the human sciences as possible in order to put them later on the framework of knowledge that deserve which are in fact not sciences at all but even the human himself is no longer that sacred subject since, he has appeared for purely practical reasons and will disappear when these reasons disappear.